وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

طرابلس الغرب أثناء حكم فرسان القديس يوحنا 1535م-1551م

مذكرة تخرج تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: جعيرن خالد

إشراف الأستاذ: قفاف عبد الرحمان

المـــوسم الجـ2017/2016ـــامعي

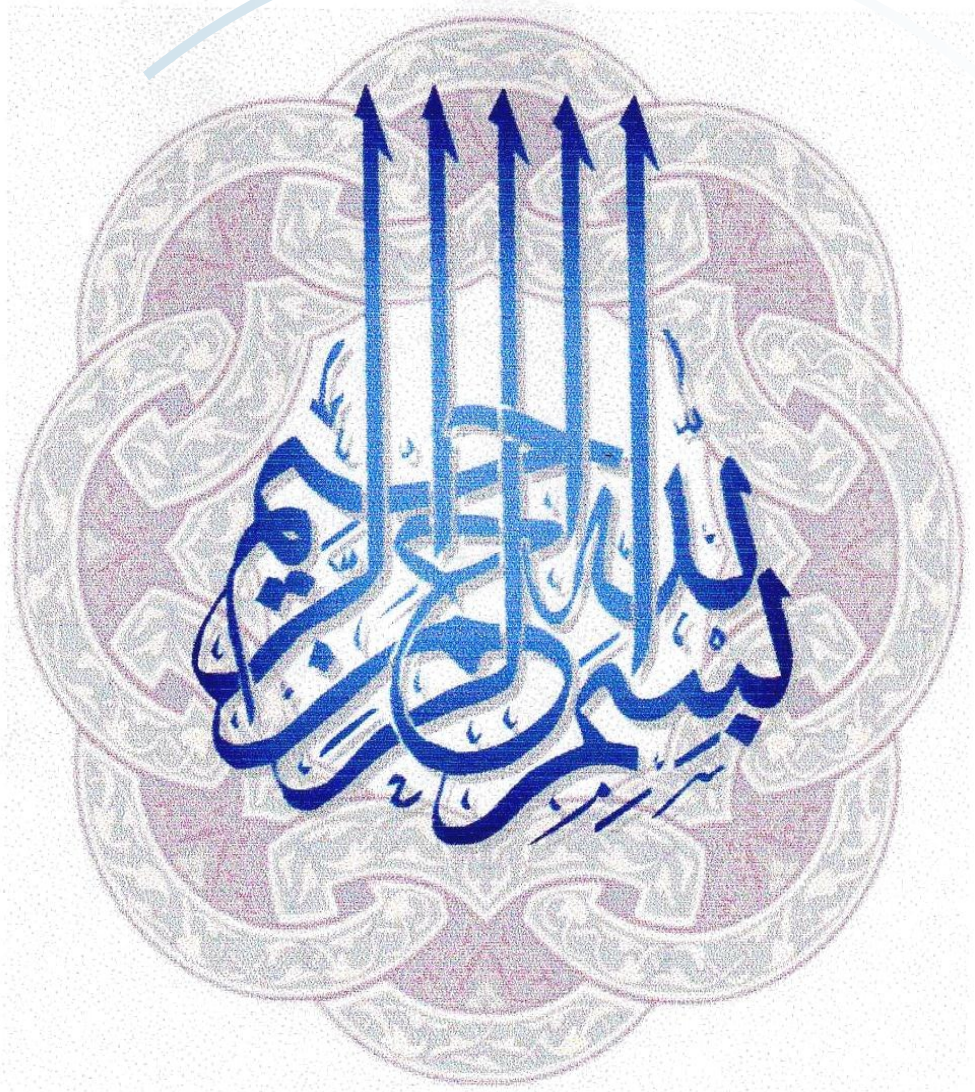
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لا يسعني في هذه اللحظات التي لا أملك فيها إلا الأحاسيس الجياشة ومنه أهدي ثمرة هذا العمل الى فضاء المحبة وبحر الحنان وريحان الدنيا أمي.

والى أبي الذي علمني أن الحياة كفاح ونضال واجتهاد وتحدي والى الأعمدة التي أضل أرتكز عليها دوما إخوتي وأخواتي، والى أهلي وأقاربي الذين أحاطوني بمحبتهم ومساعدتهم والى أصدقائي (عمار لشعل وعطاء الله بلمشري، رشيد موخا، مقدم، يحي بن يحي، والنية، وعبد الغني، حمادى،

تشكرات

عملا بقول العظيم الواحد <<ولئن شكرتم لأزيدنكم>>
وقول عليه الصلاة و السلام "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

في بادئ الأمر أشكر الله عز وجل الذي وفقني ووهبني العافية على إنهاء هذا العمل فالواجب مني أن اعترف بأنه لا يمكن انجاز أي بحث دون الحاجة إلى من هم أدرى مني بمقتضيات البحث الأكاديمي، لهذا أتقدم بجزيل الشكر إلى من دعمني من قريب أو بعيد.
و أخص بالذكر أساتذتنا الكرام الذين بذلوا جهودهم ووقتهم سائلا المولى عز وجل أن يجزيهم خير ما جزى و أخص بالذكر الأساتذة الأفاضل : عبد الرحمان قفاف، محمد بن سعيدان، جفال عمر.

قائمة المختصرات:

ط .....طبعة

تر..... ترجمة

تح.....تحقيق

ج..... جزء

بد. ت..... بدون تاريخ

ص ..... صفحة

الفصل الاول: طرابلس الغرب قبيل حكم الفرسان .

المبحث الاول: لمحة تاريخية عن ليبيا .

المبحث الثاني: اوضاع طرابلس الغرب تحت حكم الاسبان .

المبحث الثالث : ردود الفعل اتجاه الحملة الاسبانية على طرابلس .

الفصل الثاني: الحاق طرابلس الغرب بحكم الفرسان .

المبحث الاول : التعريف بفرسان القديس يوحنا .

المبحث الثاني : اسباب تنازل الاسبان عن طرابلس الغرب واهدافه .

المبحث الثالث : تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس وردود الافعال .

المبحث الرابع : حكم الفرسان وادارتهم في طرابلس الغرب .

مقدمة

الفهرس

الملاحق

الخاتمة

بيبليوغرافيا

الفصل الثالث : سقوط حكم الفرسان في طرابلس الغرب .

المبحث الاول : استنجاد الاهالي بالباب العالي (الدولة العثمانية) .

المبحث الثاني : الصراع العثماني الصليبي ونتائجه .

المبحث الثالث : الحملات العثمانية على طرابلس الغرب .

يقع إقليم طرابلس في شمال إفريقيا وتحمل عاصمته المطلة على البحر الأبيض المتوسط التسمية نفسها، وهي طرابلس الغرب (بليبيا) وقد تميزت بموقعها الاستراتيجي المهم إذ شكلت حلقة اتصال ما بين المغرب والمشرق العربي ومدخلا هاما إلى قلب القارة الإفريقية، وتمتعت من جراء ذلك بإزدهار إقتصادي كبير فتوالت عليها الغزوات بدءا بالفينيقيين في القرن العاشر قبل الميلاد مرورا بالوندال فالرومان وغيرهم. ومع مجيئ الفتح العربي الإسلامي عام643م تغيرت طرابلس الغرب كلية، وشمل ذلك التغيير التركيبة السكانية مع قدوم الهجرات الهلالية مطلع القرن الحادي عشر، أدت هذه الهجرات لإضطراب الأوضاع السياسية فاستغل النورمان ذلك لإحتلال المدينة لمدة (1146-1158م) فكان ذلك أول إحتلال أوربي لطرابلس الغرب عقب الفتح الإسلامي، وإنهار حكم النورمان سريعا بسبب ضعف قوتهم ليعقبهم الموحدون ثم الحفصيين عام1248م.

إلا أن عهدهم تميز بعدم الاستقرار بسبب الصراعات الداخلية بين الأمراء الحفصيين على كرسي الحكم، كما أرهقت دولتهم النزاعات الإنفصالية لشيوخ القبائل وثوراتهم المستمرة، فإستقلت بحكم طرابلس الغرب أسرة بني ثابت في المدة (1327-1401م) ثم عاد الحفصين إليها لكن سرعان ما إستقلت من جديد عام(1460م) وتعاقب على حكمها عدد من الشيوخ المحليين بانتخاب السكان بأنفسهم، فشهدت المدينة إستقرارا سياسيا وإزدهارا إقتصاديا كبيرا وكان الشيخ عبد الله بن شرف آخر هؤلاء الحكام المنتخبين، وقد عرف عنه الزهد والتفرغ للعبادة، فلم يقم بتحصين المدينة عسكريا وكان ذلك خطئا فادحا إذ أغفل الشيخ التطورات السياسية في الأندلس والتي إرتفعت مع إنتخابه للحكم حيث إنهارت دولة المسلمين في جنوب إسبانيا وتعرض المسلمون لحملة إضطهاد من قبل الملك الإسباني "فيرديناند" مما أدى إلى نفي أعداد كبيرة من المسلمين إلى الشمال الإفريقي ومنه كان الجهاد البحري من طرف المسلمين وألحقوا خسائر كبيرة بالإسبان الذين كانوا منشغلين بحربهم مع الفرنسيين لكن ما إن عقدت الهدنة بين الطرفين عام 1504م.

قرر الإسبان الإعداد لحملة ضد الموانئ في الشمال الإفريقي، وكان لهذا القرار أسباب متعددة في مقدمتها الأسباب العسكرية، إذ رغب الإسبان بإبعاد الخطر عن بلادهم ونقل الحرب إلى أرض

أعدائهم ومنع المسلمين من التفكير في العودة لإسبانيا فبدأوا في عمليتهم الحربية بإحتلال المرسى الكبير عام 1505م، وعين الأميرال "بيدرو دي نافارو" قائدا للقوات الإسبانية في الشمال الإفريقي للمدة (1508-1511م)، فبدأ نشاطه العسكري بإحتلال وهران عام (1509م)، ومنه تونس وبجاية عام (1510م)، وإستمروا بتنفيذ خطتهم لإحتلال طرابلس الغرب، ونجحوا في ذلك أواخر عام (1510م).

لكن فيرديناند هزم فجأت في جربة لقوة سكانها ومنه انتهى مشروع الغزو بالنسبة له وعاد لبلاده وانشغل بالحروب في أوروبا ثم تم إعفائه وخلفه شارل الذي يعتبر إمتدادا لجده فعانت طرابلس الغرب التدمير والخراب في عهده فهجرها التجار لكن شارل أيضا أهملها وانشغل بالحروب مع العثمانيين ولما أراد التخلص منها كانت توجد منظمة مسيحية مطاردة من قبل الأتراك تدعى (**منظمة فرسان القديس يوحنا**) فسلم الملك الإسباني طرابلس الغرب لهم وأمرهم بمواجهة العثمانيين معه ومحاصرتهم من عدة جهات فقاموا بتحصين طرابلس الغرب بالمدافع القوية وأصبحت قاعدة عسكرية وساحة معارك...

إشكالية البحث:

إن هذه الدراسة قامت على مسائل متعلقة بتاريخ طرابلس الغرب والأساليب التي انتهجها السكان في الكفاح ضد الاستعمار فالإشكال المطروح هو:

هل أضطر الفرسان إلى مسك طرابلس الغرب أم انها جاءت بمحض إرادتهم؟

ومن هذا المنطلق يتبادر لنا مجموعة من التساؤلات منها:

- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب في مطلع القرن السادس عشر؟
- كيف كانت الأوضاع في طرابلس الغرب قبيل تواجد الفرسان بها؟
- كيف كان حكم الفرسان بها؟

- ما هو موقف الدولة العثمانية من هذا الإحتلال؟

- هل كان ضم طرابلس الغرب للدولة العثمانية إستنجادا أم عنوة؟

أسباب اختيار الموضوع:

هناك العديد من الأسباب لعل من أهمها:

1- الرغبة الشخصية بالإطلاع على تاريخ طرابلس الغرب خلال القرن16م.

2- تقديم مساهمة بسيطة ومتواضعة في مجال الدراسات العلمية والمعرفية.

3- معرفة أساليب الكفاح التي كان ينتهجها أهل شمال إفريقيا عامة وطرابلس الغرب خاصة في تلك الحقبة.

حدود الدراسة:

الإطار الزماني للموضوع مرتبط بالأحداث الواقعة في الربع الأول من القرن السادس عشر أي 1530م، أما الإطار المكاني مرتبط بالأحداث الواقعة في طرابلس الغرب وما حدث من صراعات فيها.

خطة البحث:

لقد قمت بتقسيم الخطة الى ثلاث فصول، ففي الفصل الأول تطرقت إلى طرابلس الغرب قبيل مجيء الفرسان وقمت بتجزئته الى ثلاث مباحث، فالأول يتكلم عن لمحة تاريخية لليبيا، والثاني تكلمت فيه عن أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان (داخليا وخارجيا)، وجاء في المبحث الثالث ردود الفعل إتجاه الحملة الاسبانية على طرابلس الغرب (العالم الإسلامي و الأوروبي)، أما الفصل الثاني فعنوانه إلحاق طرابلس الغرب بحكم الفرسان، وجاء فيه أربع مباحث، أولا (المبحث الأول) التعريف بفرسان القديس يوحنا، وثانيا أسباب تنازل الإسبان عن طرابلس الغرب وأهدافه،

وثالثا تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس الغرب وردود الأفعال، فرابعا فترة حكم وإدارة الفرسان في طرابلس الغرب، أما الفصل الثالث والأخير فكان تحت عنوان "سقوط حكم الفرسان في طرابلس الغرب"، فقسم إلى ثلاث مباحث، فالمبحث الأول فيه إستنجاد الأهالي بالباب العالي (الدولة العثمانية)، وأما المبحث الثاني فيه الصراع العثماني الصليبي ونتائجه، أما المبحث الأخير، جاء فيه الحملات العثمانية على طرابلس الغرب.

مناهج البحث:

اعتمدت في دراستي على منهجين أولا المنهج التاريخي الوصفي وكذلك على المنهج التحليلي.

صعوبات البحث:

هناك جملة من الصعوبات التي واجهتني خلال دراستي تمثلت في:

- الفترة القصيرة لإنجاز هذه المذكرة.

- مشكلة اللغة فالكثير من المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

(كالإسبانية والإيطالية والفرنسية).

- قلة المادة العلمية خاصة المصادر.

تمهيد:

تقع ليبيا في شمال إفريقيا وتحمل عاصمتها المطلة على البحر الأبيض المتوسط اسم، طرابلس الغرب وقد تميزت بموقعها الاستراتيجي المهم إذ شكلت حلقة اتصال ما بين المغرب والمشرق العربي ومدخلا هاما إلى قلب القارة الإفريقية، وتمتعت من جراء ذلك بإزدهار إقتصادي كبير فتوالت عليها الغزوات بدءا بالفينيقيين في القرن العاشر قبل الميلاد مرورا بالوندال فالرومان وغيرهم، ومع مجيئ الفتح العربي الإسلامي عام 643م، تغيرت طرابلس الغرب كلية، وشمل ذلك التغيير التركيبة السكانية مع قدوم الهجرات الهلالية مطلع القرن الحادي عشر، أدت هذه الهجرات لاضطراب الأوضاع عامة، ووقوعها تحت الاحتلال خاصة، ومن هذا المنطلق سنتطرق الى الاحتلال الصليبي المتمثل في الاسبان وفرسان القديس يوحنا.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن ليبيا

المطلب الأول: أصل التسمية والموقع والمساحة

أ) أصل التسمية: لقد اختلفت المواقف والتحليلات بين المؤرخين في أصل تسمية ليبيا فكانت كالآتي:

فقد تضاربت الأقوال أن لفظ ليبيا غير عربي ولم يعثر بعد على حقيقة اللغة التي أخذت منها غير ان هيرودوت يقول:(أنه في الأصل كان اسم لإمارة بقبيلة من سكان إفريقية) ويقول غير هيرودوت من المؤرخين: (معناها الأرض الصحراء التي ليس فيها ماء) وقد عرفت بهذا الاسم من أيام الفراعنة القدماء.

وفي الأزمنة الأولى قبل مجيء المسيح عليه السلام كانت بعض الأمم تريدها جميع البلدان المغربية أو جزءا كبيرا من الشمال الإفريقي[1] وهناك من يقول ان اسم ليبيا في معناه الحديث والمعاصر هو من ابداع الإيطاليين الذين استعاروه من الجغرافية القديمة فقط، أطلق اليونانيون القدماء اسم ليبيا على شمال إفريقيا عامة بينما استعمل الإيطاليون هذه الكلمة على المناطق الواقعة بين مصر وتونس وهي طرابلس الغرب وبرقة وفزان[2].

كما كان الإغريق القدماء يسمون كل الشمال الإفريقي الى الغرب من مصر (ليبيا) والمناسبة الوحيدة قبل القرن العشرين التي اطلق فيها اسم ليبيا على مناطق بعينها كانت حوالي 300سنة، عندما كون الإمبراطور (ديوفلنتان) ولايتي ليبيا العليا وليبيا الدنيا،[3] في الجزء الشمالي من برقة، ولكن كلمة ليبيا كانت مقبولة دائما كمرادف جغرافي لطرابلس أو بلاد البربر للدلالة عن الجزء الأوسط من الشمال

[1] محمد بن مسعود، **تاريخ ليبيا العام من القرن الأول الى العصر الحاضر**، تقديم: فاضل المسعودي، الطبعة الأولى، طرابلس الغرب، المطبعة العسكرية،1948م، ص2.

[2] أحمد إسماعيل راشد، **تاريخ اقطار المغرب السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا)**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2004، ص22.

[3] عبد اللطيف محمود البرغوتي، **التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور من الفتح الاسلامي**، الجزء الأول، تامنغست، ص 6.

الإفريقي، ولم تتوحد ولاية طرابلس الغرب وولاية برقة الى سنة 1934م، وعندما أكمل الإيطاليون عملية احتلالهم لهما واسمياهما (مستعمرة ليبيا) وظلت محتفظة بهذا الاسم بعد الاستقلال[1].

ما أطلق اليونانيون اسم ليبيا على البقاع الأولى التي تعرفوا عليها من المناطق الواقعة غربي مصر، ويعتقد أن الاسم مشتق من كلمة (ليبي) التي كانت تعني الشعوب التي تسكن الحدود المشتركة بين ليبيا ومصر، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية مشتقة من اسم(لواته لبتاته ليبوا) أمخا في العهد الروماني فإن كلمة ليبيا تعني جزءا كبير من إفريقيا الشمالية لكن دون تحديد جغرافي[2].

ب/ الموقع والمساحة: تحتل ليبيا موقعا استراتيجيا هاما يتمثل في الربط بين المشرق العربي وبلاد المغرب حيث: تقع ليبيا في شمال إفريقيا في أقصى شرق المغرب العربي بين خطي عرض20°و33°شمالا، وخطي طول9°و25°شرقا، تطل من جهة الشمال على البحر الأبيض المتوسط بجهة بحرية يبلغ طولها1850كلم^2 ويحدها من الشرق مصر ومن الجنوب الشرقي السودان ومن الجنوب تشاد والنيجر من الغرب تونس والجزائر[3].

كما تشغل مساحة1.760.000كلم^2 في شمال القارة الإفريقية ويقع الوطن الليبي في الشمال الإفريقي من الجهة الغربية للمغرب العربي الكبير، ويأتي بين مصر شرقا وتونس والجزائر غربا والحر الأبيض المتوسط شمالا في حين يتاخمه عدد من الدول من الحدود الجنوبية، وفي السودان تشاد النيجر وليبيا ذات موقع متميز وثروة طبيعية هائلة وصحراء واسعة[4].

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوتي، المرجع السابق، ص6.

[2] أتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح حتى سنة1911م**، تر: وتقديم خليفة محمد التليسي، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب 1991م، ص24.

[3] جمال مشري، **جغرافية الجزائر والمغرب العربي**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1987م، ص150.

[4] عبد السلام جمعة زاقود، **مسار المصالحة الوطنية والسلم الاجتماعي ليبيا**، دار زهران للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2013م، ص28.

كما أن أراضيها توغل جنوبا في الصحراء الوسطى حتى حدود جمهورية النيجر وتشاد، وتلاقى حدودها مع السودان على طول 100كلم في أراضي صحراوية قاحلة[1].

اعتبرت من اكبر الصحاري في العالم حسب توزيع المساحات[2]

– اما حسب المراتب تعتبر رابعة اكبر البلدان مساحات في افريقيا والسادس عشر على مستواي العالم[3]

– حيث جعل منها هذا الموقع وهاته المساحة همزة وصل بين المغزى العربي والشرق الاوسط وبين افريقيا الشمالية و افريقيا السوداء وبين افريقيا وأروبا بسبب شواطئها على طول البحر الابيض المتوسط[4]

المطلب الثاني: التضاريس والمناخ:

هناك تقسيمين لتضاريس ليبيا من حيث الجهات ومن حيث المناطق:

أ–1 التضاريس: من حيث الجهات

بالرغم من كون ليبيا جزءا من الصحراء إلا أنها تشمل على انواع مختلفة من التضاريس في جنوبها توجد هضبة التاسيلي والقباب البركانية لتبستي التي يصل ارتفاع إحدى قممها (جبل مروي) الى 3140م.

أما الوسط فتحتله أحواض يتخللها عرق مرزوق وتبستي وسهول شاسعة مثل سرير الصحراء الليبية، في حين تتكون الهضاب من الأجزاء المرتفعة من السطح كالحماده الحمراء التي تغطي مساحة تقدر

[1] إسماعيل العربي، **حاضر الدول الاسلامية في القارة الافريقية**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994م، ص52.

[2] قاسي الصديق وآخرون، **الجغرافيا الاقتصادية للعالم المعاصر**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1996م، ص9.

[3] محمد الهادي العروق، **أطلس الجزائري والعالم**، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2000، ص48.

[4] جمال مشري، المرجع السابق، ص151.

بنحو100.000كلم^2، والتي تمتد من جنوب طرابلس في الشمال حتى الحافة الشمالية لحوض فزان في الجنوب.

وفي شمال ليبيا تمثل السهول الساحلية التي يختلف اتساعها من مكان لآخر بحسب الظروف المحلية للمناطق الجبلية، فينما يتسع السهل الساحلي في بعض المناطق بحيث يزيد عرضه عن 100كلم، كما هو الحال في المناطق في القسم الغربي من سهل الجفارة، ونجد أنه يضيق في بعض الأماكن الأخرى حيث تشرف المرتفعات على مياه البحر مباشرة كما هو الحال في معظم المناطق القريبة من الحدود المصرية، ويتخلل شمال ليبيا بعض المرتفعات التي تنحدر تدريجيا صوب الجنوب بينما يظهر للقادم من البحر كأنه جبال مرتفعة مثل الجبل الأخضر ونطاق طرابلس الجبلي وهضبة البطنان والدفنة[1].

أما حسب المناطق فهي كالتالي: يمكن تقسيم ليبيا من الناحية التركيبية والتضاريسية الى الأقسام التالية:

1- الإقليم الطرابلسي: ويشمل السهل الساحلي المعروف بسهل الجفارة والجبل الطرابلسي والحماده الحمراء.

2- إقليم الصحراء وفزان: ويشمل مناطق الجبال أرهنوا العوينات المروج والسوداء، كما يشمل المنخفضات الشمالية مثل: الجغبوب وجالو وأوجله ومراده والجفرة والمنخفضات الجنوبية التي تشملها واحات كفرة وفزان وذمات وبالإضافة الى مناطق بحار الرمال والأدهان وسرير وكالأنشو.

3- إقليم برقة: ويشمل سهل بنغازي والسهول الشمالية الضيقة وكما يشمل الجبل الأخضر وهضبة البطنان والدفنة[2].انظر الملحق رقم 1 .ص(72)

أ-2 المناخ والنبات:

[1] جمال مشري، المرجع السابق، ص151.

[2] جودة حسنين جودة، **العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م، ص724.

تشتد الحرارة صيفا على المناطق الساحلية، وتزداد شدتها كلما اتجهنا نحو الجنوب، باستثناء المناطق ذات الارتفاعات العالية، كالجبل الأخضر حيث تكون درجة الحرارة معتدلة، أما في الشتاء يعتبر المتوسط اليومي لدرجات الحرارة16م°.

أما الأمطار فلا توجد كمية ظاهرة غلا في منطقة برقة وحول مدينة طرابلس فتصل كمية الأمطار الى 400ملم، اما في منطقة برقة فتصل الى 500ملم بالنسبة للزراعة في ليبيا فتتمثل بشكل أساسي في برقة وطرابلس، حيث يزرع القمح والشعير والخضروات والكروم والموالح والزيتون، وتنتشر اشجار النخيل في المناطق الجنوبية والشرقية ومناطق الجنوب الغربي.

أما بالنسبة للإنتاج الحيواني فيهتم سكان ليبيا بارعي وتربية الحيوانات خاصة في برقة، حيث تكثر الأغنام والماعز، وتربى الماشية والإبل والخيل.

أما الثروة المعدنية فتشمل: الفوسفات الملح الجبس بالإضافة الى الثروة المعدنية الأساسية كالنفط الذي اكتشف سنة1957م[1].

كما يتأثر مناخ ليبيا بعاملين رئيسيين هما: الصحراء التي تشغل معظم مساحتها البحر المتوسط الذي تطل عليه بواجهة بحرية كبيرة، كما تعاني في قسوة المناخ الصحراوي الذي يتميز بصفة خاصة بالجفاف، فالأمطار لا تتجاوز200ملم إلا في مساحات قليلة في برقة (من 500إلى 600ملم) وفي طرابلس(300ملم) فيها عدا ذلك فإن الأمطار تقل عن (200ملم) في معظم جهات ليبيا كما يندر سقوط الأمطار في جنوبها.

وتشتد الحرارة كثيرا في فصل الصيف حيث تزيد عن 40° الوسط والجنوب وتنخفض الحرارة كثيرا في فصل الشتاء الى 5م°، أي أن المدى الحراري السنوي كبير وكذلك المدى الحراري اليومي كبير أيضا، وهذه صفات المناخ القاري ولا يوجد سوى منطقة ساحلية ضيقة تمتد على عدة كيلومترات هي التي

[1] أحمد إسماعيل راشد، المرجع السابق، ص22.

تتمتع بمؤثرات بحرية مطلقة للحرارة (متوسط الحرارة في بنغازي في الصيف 28م° وفي طرابلس 24م°).

وقد اثرت ظروف ليبيا المناخية على النبات الطبيعي ففي منطقة الجبل الأخضر بإقليم برقة تنمو شجيرات البحر المتوسط، ففي اعلى الجبل تكثر الأمطار وتنمو أشجار(السرو والسنديان والعرعار...) وحيث تقل الأمطار تنمو حشائش الاستلس، وكذلك حول طرابلس تنمو شجيرات

(الأحراش والحشائش) وفيها عدا هاتين المنطقتين(برقة وطرابلس) تنمو النباتات الصحراوية في معظم جهاتها، كما توجد مناطق جرداء خالية من النباتات وذلك بسبب قوة ظروفها المناخية[1].

لقد تميز مناخ ليبيا باختلاف الحراري الشديد من حيث الارتفاع والانخفاض إذ يصل معدل درجة الحرارة نهارا الى38م°وليلا البرودة10م° كما نجد ان المعدل السنوي لكمية الأمطار يقل عن 50ملم وهذا غير كاف[2].

المطلب الثالث: السكان

سكان ليبيا مزيج من أعراق عديدة تعايشت فيما بينها طيلة سبعة آلاف سنة على الأرض الليبية مكونة من: العرب الأمازيغ الطوارق والتبو، ويتألف من أكثر من ألف وخمسمائة قبيلة، أي أن المكون الأساسي للشعب الليبي القبائل الليبية تمتد من شرقها الى الحدود الغربية على امتداد الساحل الليبي، ومن شمالها الى أقصى جنوبها وتمثل القبائل العربية الأغلبية الساحقة لمكونات هذا الشعب، إضافة الى قبائل الأمازيغ والطوارق والتبو في الجنوب[3].

أما السكان المسلمون فيتكونون من عنصرين عربي وبربري مستعمر والبربر كلهم موجودون في طرابلس وفزان وجبل نفوسة وواحة أوجله الواقعة جنوب برقة، وفي الساحل الغربي لزوارة وواحة غات

[1] جمال مشري، المرجع السابق، ص152.

[2] الهادي قطش، **أطلس الجزائر طبيعيا بشريا اقتصاديا سياسيا**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص87.

[3] عبد السلام جمعة زاقود، المرجع السابق، ص40.

وغدامس، كما ينقسمون الى عدد من القبائل العربية، العرقية وهذا التقسيم يشكل المستوى الأول للحكم[1].

إن سكان ليبيا معظمهم من العرب، وبعضهم من البربر المتعربين، بالإضافة الى أعداد قليلة من الزنوج والزنوج المتعربين، وينتسب العرب في ليبيا الى قبائل بني هلال وبني سليم التي هاجرت الى مصر وشمال إفريقيا في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي، وقد سكن كثير من بني سليم برقة بينما توغل آخرون من بني هلال في شمال ليبيا وسائر بلاد المغرب العربي، واختلط الجميع بالسكان الأصليين لليبيا(البربر)[2].

وهكذا كان بنو سليم وبنو هلال ممن استقروا بليبيا وصبغوها بالصبغة العربية الاسلامية منذ منتصف القرن الحادي عشر ميلادي[3].

كما يرى هيرودوت أن بحيرة تريتون (وهي خليج قابس بتونس على الأرجح هي الحد الفاصل بين مجموعتين من الليبيين) إحداهما تعيش الى الغرب ألفو حياة الاستقرار، والثانية تعيش الى الشرق من البحيرة تتألف بدور رعاة وعلى حسب هذا القول اخذ البعض بوجود ليبيين شرقين وغربيين[4].

ويقول مصدر آخر ان سكان ليبيا من الأعراب، اي أن في كلامهم فضاضة وأنهم من قراء القرآن الكريم، كما وصفهم في قوله (يقرؤون التراتيل ويسكنون القفار البرية) وفي بيت شعري يثبت ذلك:

أنا الغول غالت مّن يطور فنائها وتخدع بالألطاف طور بالبر.

فإذا أكلوا أبري شريت نفوسهم وتم بين نفس المرء في العدر والبر

[1] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص59.

[2] جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص750.

[3] نفسه، ص751.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1966م، ص11.

ويشير في كلامه ويصف أهل وسكان برقة بقوله: عرب برقة اليوم من أفصح العرب، ولكن لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره وهم الى الآن على عربيتهم ولم يفسد من كلامهم الا قليل ويذكر أهل طرابلس الغرب ويقول: للجهل مآتم وما للعلم بها غرس، أقفرت ظاهرا وباطنا، وكأنهم من ضيق أفهامهم لم يخرجوا بعد الى العالم[1].

المطلب الرابع: الديانة واللغة

أ/ الديانة: يدين الشعب الليبي بالديانة الاسلامية أي الاسلام هو الدين الرسمي والذي تطبق أحكامه الشرعية في ليبيا وكلهم مسلمون على المذهب المالكي، وذلك فيما عدا أقلية من البربر تقطن خصوصا في طرابلس الغرب وزواغة وجبل نفوسة تدين بالمذهب الإباضي، كما تشيع بعض الطرق الصوفية في بعض القبائل.

وأما الديانات الغير الاسلامية فإن مركزها ضعيف في ليبيا، حيث أن الكاثوليك لا يملكون سوى كنيستين إحداهما في طرابلس والأخرى في بنغازي[2].

ويدينون الليبيون بلا استثناء بالإسلام المعتدل ولا توجد هناك انقسامات مذهبية واضحة، حيث يغلب على جلهم التدين المعتدل وفق مذهب الإمام مالك بن انس رحمه الله، وينهج الليبيين وفق المذهب الإباضي، في حين أصبح هناك انتشار لبعض المذاهب أو المناهج الدينية كالمنهج السلفي والإخوان المسلمون[3].

[1] محمد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تر: سعد بوخلافة، منشورات بونة البحوث والدراسات، بونة، الجزائر2007، ص199.

[2] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص60.

[3] عبد السلام جمعة زاقود، المرجع السابق، ص40.

ب/ اللغة: يتحدث الشعب الليبي اللغة العربية[1]، والتيفيناغ لغة الأمازيغ، والتماسقية لغة الطوارق، ولغة النشيد التي هي لغة التنبو ذات الأصل الأمازيغي وجميع أفراد الشعب الليبي يتحدثون اللهجة العربية الليبية[2].

المبحث الثاني: أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان

بعد الانتصار الذي حققه(بيدرو دي نافارو) على مدينة طرابلس أقام الأفراح مهنئا نفسه من خلال رسالة وجهها الى نائب الملك في صقلية وجاء فيها: " سيدي إن هذه المدينة هي الأكبر في واقعها مما كنت أتصور ورغم أن الذين يشيدون بها ويطردونها، يتحدثون عنها حديثا حسنا، علىّ انني أقول إنهم لم يقولوا نصف الحقيقة سواء أكان ذلك فيما يتصل بتحصيناتها أم نظافتها، حتى تبدوا المدينة مدينة إمبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمي لأي ملك خاص"[3].

لقد كان العهد الاسباني في طرابلس عهد استبداد وظلم، وشغلتهم جباية الاموال وفرض الضرائب عن القيام بأي عملية إصلاح في البلاد وشغل الناس بأمر الاسبان عن أعمالهم، ومتابعة نشاطهم في الزراعة والصناعة والتجارة فعم الخراب والفقر في البلاد والعباد، وكانت الحرب سجالا بينهم وبين الطرابلسيين فلا العرب امكنهم ان يقتحموا المدينة على الاسبان، ولا الاسبان امكنهم ان يجلوا العرب عن تاجوراء، وقد طال المقام بالاسبان على هذا الوضع المائع، وإذا استثنينا بعض الإصلاحات التي أحدثوها في قصر الحكومة وبعض الاسوار زيادة في تقوية الحصون سنة 924هـ/ 1518م، أمكننا أن نؤكد أنهم لم يقوموا بأي إصلاح في البلاد، بل أفسحوا الطريق للخراب يعبث بجميع أنواع النشاط المادي والأدبي، وكان الحصار المضروب حول أسوار المدينة من الطرابلسيين، وفداحة الضرائب التي فرضوها على التجارة الواردة إليها من البحر اكبر العوامل التي جعلت سكان المدينة في فقر مدقع،

[1] آمنة أبو حجر، **الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم**، ص212.

[2] عبد السلام جمعة زاقود، المرجع السابق، ص41.

[3] أتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، تر: محمد التليسي**، مؤسسة الثقافية الليبية للترجمة والنشر، طرابلس، 1969م، ص 142.

وجعلت أسواقها في كساد مستمر وتجارتها في بوار، فانصرف عنها الموردون الى غيرها من موانئ البحر الابيض، وانقطع منها المصدرون لفناء الثروة وانقطاع العمل.

المطلب الأول: الأوضاع الخارجية

بعد انشغال اسبانيا بالصراعات مع فرنسا حول الأراضي الإيطالية، اضطرت الى تغيير سياستها المتبعة في طرابلس الغرب وذلك بالاعتماد على البعض من حلفائها العرب، حينما قام الملك شارل الخامس[1] . انظر الملحق رقم 02 ، ص(73)

بفك أسر شيخ طرابلس الشيخ عبد الله المرابط الذي كان اسير في صقلية مدة عشر سنوات، كما عمل شارل الخامس على إعادة الشيخ المرابط الى طرابلس، ليضمن بذلك عودة سكانها الذين هاجروها بعد أسر شيخهم، وكان الملك شارل يرى بأنهم سيعملون على إعادة الحياة التجارية للمدينة وبالتالي سوف يضمن بذلك تحسن وضع الحامية الإسبانية الموجودة هناك والتي ظلت تعاني من سوء اوضاعها العامة[2].

لقد فرض نائب ملك صقلية الذي كان يحكم طرابلس الغرب عودة الشيخ المرابط والسكان الى طرابلس الغرب لأنه كان يريد ملء المدينة بالنصارى لكن الامبراطور شارل الخامس بعث له رسالة في عام 1520م. ووضح له أن عودة الشيخ ستعمل على توطيد العلاقات بين المحتلين والأهالي لا سيما بعد تمكن الاسبان من القضاء على عروج وظنهم أن لا قدرة لأخيه خير الدين على مواصلة المقاومة ضدهم[3].

---

[1] شارل الخامس ملك اسبانيا (1516-1556م) رأس الامبراطورية الرومانية المقدسة (1519-1556م) يعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ اسبانيا كله، هزم القوات الفرنسية وأسر الملك فرانسوا الأول في معركة بافيا عام 1525م، أعلن الحرب البروتستانتية ثم عقد معها صلح أوغسبورغ عام 1555م، في عهده اتسعت الامبراطورية في اوروبا وفتحت اسبانيا اجزاء واسعة من المكسيك وبيرو تخلى عن العرش عام 1556م، واعتزل في أحد الأديرة الاسبانية، أنظر : اتوري روسي، المرجع السابق، ص143.

[2] نفسه، ص144.

[3] العبيدي سمير عبد الرسول عبد الله، **طرابلس الغرب أثناء الاحتلال الاسباني وفرسان يوحنا**، جامعة بغداد، 2003م، ص78.

ولما استقر خير الدين باشا في تحرير جربة بصورة مؤقتة الى أن يتمكن من اعادة السيطرة على الجزائر مرة ثانية بعد حدوث بعض التمردات فيها، شعر الاسبان بالقلق من تواجده هناك لما يسببه ذلك من تهديد خطير على مراكز نفوذهم في طرابلس الغرب، ولذا أسرعوا الى ارسال نائب الملك في صقلية (هوجو منكادا) على رأس حملة مألفه من أسطول يضم(10سفن) و(1350من المشاة) و(1000 من الفرسان) ضد جربة وقد حدثت معارك بين الطرفين، اضطر على إثرها شيخ الجزيرة الى طلب الصلح فتم ذلك مقابل شروط عدة كان من ضمنها دفع أتاوه سنوية لإسبانيا، ومنع التجاء المجاهدين للجزيرة، وكذلك ارسال وفدا الى الامبراطور شارل الخامس لإعلاء الدخول في طاعته، حتى قام بإحراق الوثيقة، وظلت جربة تشكل تهديدا خطيرا لمواقع الاسبان في طرابلس الغرب[1].

وقد امتاز العهد الإسباني في طرابلس الغرب بتدهور النشاط التجاري وعلاقاتهم الاقتصادية بالخارج، حيث توقفت أغلب الحركات الاقتصادية التي اشترت بها طرابلس وذكرها المؤرخون التقاة والرحالون الذين جاؤوها من قبل لأن الاسبان احتكروا سوق طرابلس الغرب لأنفسهم وفرضوا رسوما جمركية عالية على الموردين الأوربيين الآخرين وتبلغ هذه الرسوم50% مضافا اليها رسومات محلية أخرى في حين أنهم أعفوا التجار الاسبانيين من أي رسم جمركي في مينائي طرابلس وبجاية، وكان لهذه التصرفات من قبل الاسبان أثر سيء لا على التجار الطرابلسيين فحسب بل حتى على التجار البندقيين الذين كانت لهم مصالح تجارية واسعة مع طرابلس الغرب حتى اضطروا الى مخاطبة الامبراطور (شارل الخامس) صاروا يلاقونها بلا تجار طرابلس الغرب[2].

وما لا شك فيه ان تجارة طرابلس الغرب في هذه المدة وازاء هذه العراقيل التي وضعها الاسبان صارت تتدهور يوما بعد يوم بسبب فرض الرسوم الجمركية المرتفعة من جهة وبسبب حصار المدينة من قبل العرب من أخرى وبقاء سكان المدينة وتجارها منعزلين ومحرومين من الاتصال بغيرهم خارج القطر الطرابلسي وداخله، ومن الطبيعي أن تزدهر هذه التجارة في موانئ أخرى بعد أن ضيق الاسبان الخناق

[1] العبيدي، المرجع السابق، ص80.

[2] عمر محمد الباروني، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب**، ط4، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م، ص64.

على المدينة ولا بد لتجار البندقية وتجار السودان أن يبحثوا عن محطة أخرى ليست خاضعة للإسبان على الساحل الطرابلسي ليتبادلو فيها البضائع دون رسوم جمركية باهظة، وهناك لعب ميناء مصراته دورا هاما في احياء ما كاد يموت من نشاط اقتصادي في البلاد وصار تجار السودان والبندقية يرتادون ميناء مصراته، ولهذه الأسباب تناقض دخل الحكومة في مدينة طرابلس الغرب تناقضا فضيعا ولم بعدما يجيء كافيا لإدارة البلاد والصرف عليها وسد حاجياتها[1].

حاول الاسبان من ثالثة الاستيلاء على جربة في سنة1525م وتوجه (دون هوجو دي منكادا) بمئة سفينة تقل (13000من المشاة) و(1000 فارس) الى هذه الجزيرة لإخضاعها والانتقام منها وعندما تقدم الجيش في الجزيرة هاجمه العرب بشدة وعنف وأحاطوا به من كل حدب وصوب وخسر المسيحيون 600رجل وكان الباقي مهددا بالإبادة الجماعية والفناء الكامل ولذلك ما كان من(هوجو دي منكادا) إلا أن يسحب جيشه من جربة ويرجع خائبا كما يرجع من قبله الاسبان الذين حاولوا احتلال جزيرة جربة[2].

المطلب الثاني: الأوضاع الداخلية

بعد الذي حدث ضد طرابلس الغرب خارجيا، أعلن سكان طرابلس الغرب تأييدهم للعثمانيين، ودعم جهودهم في العمل ضد الاسبان وقد أكدوا ذلك عندما قاموا بإرسال وفد من تاجوراء الى السلطان سليم الأول 1520-1566م يطلبون مساعدته لتحرر بلادهم من الاسبان، رغم تباين الآراء، عمد الاسبان بعد ذلك الى نهب المدينة، وهجروا أهاليها حتى عمها الخراب والدمار فهجرها التجار، وانتقلت الأهمية التجارية الى الموانئ الأخرى مثل مصراته وتاجوراء وما زاد في خراب المدينة محاولة الاسبان إقامة أسوار جديدة على انقاض الأسوار القديمة ومنازل الأهالي، فتعرضت المدينة من جراء ذلك الى تبديل أجزاء مهمة في هيكلة المدينة ومعالمها، وهذا ما يعكس تماما الوصف الذي قدمه لنا بانستينودي تونيسيس الذي شارك في هذه الحملة، حيث قال في وصف مدينة طرابلس:

[1] عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص65.

[2] نفسه، ص67.

(تقع مدينة طرابلس في سهل منبسط وهي مربعة الشكل ويحيط بها سور يبلغ امتداده اكثر من ميل لها سوران مزدوجان وبها خنادق منخفضة وضيقة، السور الأول منخفض أمال السور الثاني فهو مرتفع جدا، فضخامته متناسبة مع الأبراج وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث ولها ميناء ممتاز قادر على إيواء (400 سفينة) ومراكب ذات المجاذيف الضخمة، ومن ذلك كان ضياع هذه المدينة مبعثا للأسى والأسى ويقال أن سكانها أكثر من عشرة آلاف نسمة، جلهم من العرب أما البقية قد قتلوا، ولم ينج منهم إلا القليل الذين تخطوا السور الواقع شمال المدينة[1].

في سنة 1513م ولى ملك إسبانيا على طرابلس الغرب(دون هوجو دي منكادا) نائب الملك في صقلية، خلفا(لدياج وردي فيرا) وأعطى له 12ألف (دويكات) تدخل سنوي لتغطية العجز المالي في ادارة البلاد وبهذا صارت مدينة طرابلس الغرب تابعة في ادارتها الى صقلية، وأرسل (دون هوجو دي منكادا) واليا على طرابلس الغرب من قبله (جوان فرانشيسكو باترنو) وسعى نائب الملك في صقلية في تعمير مدينة طرابلس بعائلات صقلية حتى يؤمن ملكه فيها ويوطد أقدامه ولذلك أصدر في(قطانيا) من أعمال صقلية مرسوما ملكيا في26أكتوبر1513م، يعلن فيه الى من يرغب في الهجرة الى طرابلس الغرب انه يمنحهم بيوتا جيدة وأراضي للزراعة وأنه يعفيهم من الضرائب ويبرؤهم من جميع الجرائم إذا كانوا قد ارتكبوا جرائم من قبل، ولما مات (فيرديناد الكاثوليكي) سنة1516م. والكاردينال(اكس مانس) توقف اهتمام الاسباب بالمسألة الإفريقية، لأن خليفته(شارل الخامس) الإمبراطور المقدس كان منصرفا الى خصمه في الملك(فرانسوا الأول).

ولا يذكر لنا التاريخ كثيرا عن طرابلس الغرب في هذه السنوات بل طوى صفحات سنوات كثيرة دون ذكر شيء قليل أو كثير عم كان يجري في طرابلس الغرب.

[1] أتوري روسي، المرجع السابق، ص81.

وفي سنة1525م، انتشر في طرابلس الغرب مرض الطاعون وفتك فتكا شديدا بالجنود الاسبانيين وبالسكان المدنيين، وبسبب هذا المرض المهلك قرر الاسبان التخلي عن مدينة طرابلس الغرب[1].

ويستفاد من الرسائل التي كان يبعث بها فتصل البندقية في باليرمو الى حكومته ان الأوضاع في طرابلس في آخر سنة1511م هادئة ورغم هذا الهدوء النسبي الذي ساد المدينة في أواخر هذه السنة فإن الإسبان اضطروا الى إجراء تحصينات أخرى فأعادوا بناء البرج والأسوار والقصر. أنظر الملحق رقم03 ص(74)

وجاء الى طرابلس سنة 1518م، الحسن بن محمد الوزان،[2] فيقول انه عندما قدم طرابلس سنة 1518م وجد المدينة تسترجع شيئا فشيئا عمرانها ونشاطها كما ذكر الاسبان قد حصنوا قصر طرابلس وجعلوا له أسوار قوية وجهزوه بالمدافع، ويقول أيضا أن بيوت طرابلس جميلة بالنسبة لبيوت تونس وأن الميادين منظمة الأسواق تمتاز بوجود كثير من المصنوعات وبالأخص النسيج، وانه ليس في طرابلس آبار أو عيون ماء وأن السكان يستعملون مياه الصهاريج، وأنه رأى كثيرا من المساجد وبعض المدارس ومستشفيات والملاجئ، ويقول أن طعام السكان غير جيد وانهم يستعملون البازين غذاء اساسيا، وقد زار(جوان ليون الإفريقي) أي الحسن بن محمد الوزان مدينة تاجوراء وقال أنها كثيرة الأشجار والنخيل وكثيرة البساتين وأنها صارت كبيرة عامرة بعد احتلال الاسبان لطرابلس وفرار الكثير من سكانها الى تاجوراء[3].

[1] عمر الباروني، المرجع السابق،ص66.

[2] الحسن بن محمد الوزان: هو من مواليد غرناطة عاصمة المسلمين بالأندلس، ثم فر من الاندلس على اثر المرسوم الصادر من الملك الكاثوليكي وانتقل مع عائلته الى وزة بالمغرب وهناك تعلم الادب ثم رحل الى بلدان كثيرة يكتب ويؤلف عن كل ما يراه، ووقع في جزيرة جربة أسيرا في ايدي القراصنة المسيحيين الذين حملوه الى روما وقدموه هدية(للبابا ليون) وتقبله البابا قبولا وقدره لعلمه وغزارة اطلاعه وسعة معلوماته واجبره ان يترك دينه فاضطر الحسن بن محمد الوزان ان ينزل عند رغبة البابا فعمده وسماه البابا (جوان ليون الإفريقية) وسكن جوان ليون الإفريقي روما وصار من الحاشية الباباوية وتعلم اللغة الايطالية وترجم كتابه في الرحلات بنفسه الى هذه اللغة، أنظر: الى أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تونس، 1963م، ص62.

[3]أحمد بن أبي الضياف ، المرجع السابق، ص63.

المبحث الثالث: ردود الفعل اتجاه الحملة الاسبانية على طرابلس الغرب

المطلب الأول: الموقف الإسلامي

واجه الاسبان مقاومة عنيفة من طرف سكان المدينة، ولم يكن الامبراطور الاسباني يرغب فيها نتيجة التكاليف الباهظة الناجمة عن احتلالها لكن بيدرو نافارو كان جيدا في جعلها قاعدة رئيسية لتحركات البحرية، وكان يدرك ان ابقاء فيها مستحيل ما لم يخضع جزيرة جربة له فجهز قواته واتجه بها الى جربة بعدما أناب مكانه ديجوري فيرا وزوده بحامية تتألف من ثلاثة آلاف مقاتل[1].

وفي الثامن والعشرون من آب بلغ دي نافارو جربة إلا أنه اصطدم بمقاومة عنيفة أفقدته مؤنه وذخيرته وخبرة قادته، كما ان السكان عمدوا الى ردم آبار المياه، وذبحوا الجنود الباحثين عنه إزاء مات عرض له من خسائر بشرية ومادية، اضطر الى توجيه أوامره بالانسحاب من جزيرة جربة في التاسع عشر آب[2].

لم يكن من الاقل من ذلك الشعور بالأسف الذي سرى في البلدان الاسلامية المجاورة مثل تونس ومصر لسقوط هذه المدينة الهامة في أيدي المسيحيين، وفي رسالة من تونس مؤرخة في 09نوفمبر 1510م، وقد نقلت من باليرمو وذكرها مارين ساندودو في يومياته ورد" أن العرب ومشايخهم كانوا يعتزمون قتل جميع المسيحيين، ولكن سلطان تونس منعهم من ذلك وهي تأكد في الوقت نفسه أن الملك يستعد لمهاجمة طرابلس، وكان يتوفر على ثلاثين ألف رماح وعشرين ألف من الرماة وعشرين ألف مسلح آخر، ويلاحظ المؤرخ مارين ساندودو نفسه بتاريخ 24نوفمير 1510م، نقلا عن أحد القادمين من القاهرة ودمياط أن العرب المغاربة في الاسكندرية قد تجمعوا في المسجد فور علمهم

[1] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص151.

[2] أتوري روسي، المصدر السابق، ص148.

بسقوط طرابلس في يد الجيش الاسباني هناك، وألحقوا أضرارا فادحة بها، ولكن امير الاسكندرية عالج الامر واصلحه[1].

ولكن سلطان مصر في ذلك الوقت كان ضعيفا جدا وبعيدا كل البعد عن التأثير على مصير طرابلس، وكان الخطر الذي يهدد هذا الاحتلال الجديد يكمن في الهجوم المتوقع من جانب العرب الدواخل، وقد طلب بيدرو دي نافارو في رسالته الى نائب الملك في صقلية التي سبق أن ذكرناها ان ترسل المدافع والمجانيق والاقواس، ويضيف قائلا:" أنه يرى احتلال طرابلس اهم من احتلال تونس ويلاحظ أن تونس أيضا ستقع تحت سلطته بفضل المسيح"[2].

وذكر الشيخ محمد أبو راس احمد الناصري[3] في حوليته المسماة " وصف جربة وتاريخها" إذ يقول:

" .... واجتمع أهل الجزيرة في برج القشتيل، فنزلت فلوكة وفيها رجل من طرف رئيس الافرنج ومعه كتاب للشيخ يخاطبه على ان يسلم له الجزيرة أو القتال، فأجابه لا رغبة له في ذلك القتال واغلظ له في الخطاب فلما بلغه الجواب استعد لنزول البحر فتحول المسلمون الى قربهم عند قصر مسعود فنظر أعداء الله الى كثرة المسلمين وعلموا أنهم لا طاقة لهم بقتالهم وفي يوم الجمعة استعد الكفار للنزول فصلى المسلمون صلاة الجمعة وخطب خطيبهم لما اعد الله من نعيم المقيم للمجاهدين في سبيل الله"[4].

[1] اتوري روسي، المصدر السابق، ص149.

[2] نفسه، ص150.

[3] هو محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي علامة ومحقق في العلوم الاسلامية وحافظ للحديث النبوي من الجزائر ولد بنواحي مدينة معسكر بالجزائر يوم 8 صفر1165هـ/27 ديسمبر 1751م، ودفن بمعسكر يوم 15 شعبان 1238هـ/ 27 افريل 1823م، وكان شارك في الجهاد لفتح مدينة وهران سنة 1206هـ/1795م، الى جنب الباي محمد بن عثمان، له اسهامات في علوم الحديث وله مؤلفات عدة في هذا المجال يعتبر ثاني رجالات معسكر بعد الامير عبد القادر لذا يتم تسمية عدة منشآت باسمه خاصة العلمية والثقافية منها، انظر محمد ابو راس الجربي : المؤنس الاحبة في أخبار جربة، تحقيق محمد المرزوقي وتقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، ط، 1960، ص10.

[4] نفسه، ص11.

فرتب المسلمون صفوفهم ميمنة وميسرة وقلبا فحملوا عليهم من كل جهة وجانب حملة رجل واحد أعلنوا كلمة التوحيد ووضعوا فيهم السيف فلم يبقى منهم الا القليل، فأسروهم ولم يرجع أحد الى سفنهم وبتقدير العزيز الحكيم ارسل عليهم ريحا فتكسرت من سفنهم ثمانية عشر سفينة على الساحل بما فيها من الاموال للكفار فغنم المسلمون غنيمة لم يروا مثلها واستشهد من المسلمين حوالي الثلاثين رجلا، وعقب هذا الفشل الذي وقع في جزيرة جربة مصائب اخرى وكان دي نافارو يرغب في العودة لإسبانيا، في ان يجوب ساحل افريقيا الشمالية بحثا عن فرصة للثأر من الهزيمة التي منيت بها الجيوش الاسبانية وبعد ان ترك طرابلس الغرب القوات اللازمة في الدفاع عنها.

المطلب الثاني: الموقف الأوربي

استقبل نبا احتلال طرابلس الغرب بفرحة عظيمة وبهجة غامرة في لوربا المسيحية، وقد شجع هذا النجاح ملوك اسبانيا على ان يدفعوا بحملاتهم نحو افريقية دفعة قوية، ويبدوا ان الحماس قد سرى الى الملك الكاثوليكي فاحب أن ينهض بنفسه الى قيادة حملة تهدف الى توسيع رقعة انتصاراته[1].

وجرت في الاندلس استعدادات جادة لتحقيق هذه الرغبة خلال شتاء وربيع سنة 1510-1511م، وكان من المقرر أن تسافر الحملة من ميناء مالطا ولكن الاحداث التي وقعت في ايطاليا قد صرفت منذ ذلك الوقت اهتمام الملك فيرديناند عن الشؤون الافريقية[2].

وهنا نلاحظ أن التواجد الفعلي للاسبان في طرابلس الغرب، قد تأخر بسنة قبل الموعد المقرر له فكيف كان تواجد الفرسان؟

[1] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص150.

[2] أتوري روسي، المصدر السابق، ص ص 146-145.

تمهيد:

في هذا الفصل سنتطرق الى عملية التحول في نوعية الاحتلال الذي كان قمعيا يعتمد على النهب والسلب والتدمير، وتحول الى صراع ديني بين عدة جبهات، حيث مثله الفرسان والاسبان ضد الليبيين عامة والطرابلسيين خاصة، وأيضا دخول جبهة أخرى في هذا الصراع، والتي تمثلت في الدولة العثمانية التي اختلف فيها المؤرخون على انها طرف قوة مساعدة للمسلمين أو على انها احتلال مثل كل احتلال سابق.

المبحث الأول: التعريف بفرسان القديس يوحنا

فرسان الاسبتارية أو فرسان القديس يوحنا، فرسان مالطا، فرقة عسكرية صليبية أو جماعة دينية صليبية محاربة ساهمت في الحروب الصليبية أقامت بجزيرة رودوس، ثم احتلت طرابلس في ليبيا، نشأت في جزيرة مالطا وعرفت باسم فرسان القديس يوحنا الأورشليمي وقد انبثقت عن الجماعة الأم الكبيرة والمشهورة باسم فرسان المعبد والتي كان لها شهرة أيام الحروب الصليبية وهي غير منظمة لمالطة، ذات سيادة تأسست كهيئة خيرة من قبل بعض التجار الايطاليين عام1050م لرعاية الحجاج المسيحيين فيث الأراضي المقدسة، فتم في تلك الحقبة انشاء مستشفى القديس يوحنا في القدس لهذه الغاية اضافة الى دير ومدرسة، وكان الفرسان دائي الاغارة على سواحل المسلمين خاصة سواحل ليبيا وتونس لقربهما من مالطا، وقد احتل فرسان مالطة منطقة برقة عام 916هـ، غير أن المماليك لم يلبثوا ان أخرجوهم منها، وفي نفس السنة احتلت قوة اسبانية مدينة طرابلس الليبية بقيادة (دي نافارو) وقتل5000 مسلم، وأسر 6000 وفر باقي سكان المدينة وظلت طرابلس من سنة916هـ حتى سنة 936هـ تحت حكم الاحتلال الاسباني[1].

وكان ظهور فرسان مالطة عام1070م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الايطاليين لرعاية مرضى المسيحيين في مستشفى القديس يوحنا قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، في فلسطين وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الاسلامية، وقد أطلق عليهم اسم فرسان المستشفى أو الاسبتارية باللغة الايطالية، تمييزا لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل فرسان المعبد وفرسان التيوتون، وغيرهم وقد ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد[2].

وفي بداية القرن الحادي عشر كان هناك تزايد كبير في أعداد الوافدين المسيحيين الى مدينة القدس وذلك لاتجاه بعض الايطاليين للحصول على حق ادارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين،

[1] محمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الأقصى وليبية)**، دمشق، 2000م، ص154.

[2] أتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، تر: محمد التليسي، ط1، مؤسسة الثقافة الليبية للترجمة والنشر، طرابلس،1969م، ص148.

وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى قديس القدس يوحنا، كذلك استطاع تجار(مدينة أمالفي سنة 1070م)، تأسيس جمعية داعمة في "بيمارستان" قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بالأجانب ومن اسم المستشفى اطلق عليهم اسم فرسان الاسبتارية باللغة العربية، ولم يلبث أولئك الإسبتاريين أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكي المعروف في غرب أوروبا، وصاروا يتبعون (بابا روما مباشرة) بعد ان اعترف (البابا باسكال الثاني) بتنظيمهم رسميا في 15 فيفري1113م، وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين هما: تجار أمالفي وحكام البروفانس في فرنسا[1].

لقد نشأت منظمة القديس يوحنا منذ بداية الحروب الصليبية وكانت عبارة عن منظمة خيرية مهمتها مساعدة الفقراء والمحتاجين من المسيحيين وتامين سلامة حجاج بيت المقدس، ومع مرور الوقت بدأت تتحول الى تنظيم عسكري بحت وتعهدت بالدفاع عن بيت المقدس فاقتطعت بعض الأراضي وأقامت عليها ثكنات وتنظيمها العسكري[2].انظر الملحق رقم 04 .ص(75)

المبحث الثاني: أسباب تنازل الاسبان عن طرابلس الغرب وأهدافه

المطلب الأول: أسباب التنازل

أ/ التحول في السياسة الاسبانية:

كانت أخبار نشاط الاسطول العثماني في شرق حوض البحر الابيض المتوسط قد انتشرت وقد امتدت أطماع الترك الى الناحية الغربية من هذا البحر، واسندت قيادة الاسطول التركي الى رجال ذوي مقدرة وشهامة مثل خير الدين بربروسا وغيره، وكانت روحهم متشبعة بالدفاع عن حوزة الاسلام وكرامة معتنقيه، فوصلت بعض قطع الاسطول التركي الى المياه الطرابلسية سنة 1512م،

[1] أتوري روسي، المصدر السابق، ص149

[2] الاسم الحقيقي لمنظمة فرسان مالطا، فرسان القديس يوحنا استقروا في جزيرة رودس بعدما طردت للمرة الثالثة بسبب ارتكابها الظلم إزاء المسلمين ومهاجمة السفن العثمانية، فعمد السلطان سليمان القانوني الى طردهم منها، فاستقروا في طرابلس الغرب بليبيا، بعدما قدمها شارل كان هدية لهم، للمزيد أنظر، محمد خير فارس، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، 1985م، ص58.

فكان لما أبداه من جرأة ولما لاقاه الاسبان من عدم النجاح في التغلب على الطرابلسيين رد فعل كبير فيما كان يبديه الاسبان من تحمس لإمتلاك طرابلس يضاف الى هذه الهزائم الشنيعة التي لاقوها في فتح جزيرتي جربة وقرنقة، فكانت هذه الاسباب مجتمعة ومتفرقة من الأسباب التي حملت ساسة الاسبان على التفكير في تغيير سياستهم نحو طرابلس، بل ونحو الشمال الافريقي كله.[1]

وأول بوادر هذا التحول إلحاق طرابلس الغرب بصقلية في الإدارة، ففي سنة 1513م، تنازل ملك اسبانيا عن إدارة طرابلس الى نائب الملك في صقلية، وأصبحت مدينة طرابلس تابعة في الادارة لصقلية وأرسل نائب الملك الى طرابلس جوان فرانشيسكو واليا عليها، وشجع نائب الملك بعض الأسر الصقلية على الهجرة الى طرابلس لتعميرها، ووعدهم بإعفائهم من الضرائب، وإعطائهم بيوتا يسكنونها، وأرضا يزرعونها، وذلك ليبعث فيها روح النشاط التجاري والصناعي الذي فقدته بسبب جلاء السكان عنها وسوء معاملة الاسبان، وزيادة في الترغيب وعدهم بالعفو عن أصحاب الجرائم منهم.[2]

ولما مات الملك فيرديناند امبراطور الاسبان سنة 1516م، خلفه الامبراطور شارل الخامس وبدأ التحول واضحا في سياسة شارل، ويظهر أنه اضطر الى تغيير سياسته اضطرارا لأن الحروب الداخلية التي انتشرت في إيطاليا والخلاف القائم بينه وبين فرنسوا الاول لم يمكناه من مواصلة سياسة سفله في طرابلس، وانتشر اسم خير الدين بربروسا بين الممالك الاوربية، حيث هاجم بأسطوله بجاية 1514م، وأعاد الكرة سنة 1515م، واصبح يهدد اسبانيا في كل ممتلكاتها الافريقية، وقد ضاق الحال بالاسبان في طرابلس، وأفلست سياسة العنف التي كانوا يستعملونها في داخل المدينة وخارجها، ولم يبدا من الطرابلسين أي فتور في الدفاع عن بلادهم، فعمد الاسبان الى محاولة جديدة وهي العفو

[1] أحمد النائب الانصاري، **المنهل العذب في طرابلس الغرب**، بيروت، 1950م، ص298.

[2] نفسه، ص299.

عن الشيخ عبد الله بن شرف شيخ المدينة السابق، فاطلقوا سراحه حوالي سنة 1521م، بعد أن قضى في منفاهو وأسرته نحو عشر سنوات، وحاولو أن يستغلوا نفوذه في إخضاع الطرابلسيين.[1]

ويقول الاستاذ الباروني:"ورجع على اثر رجوعه خمسمائة عائلة طرابلسية، ولكنه لم يجد في معاملة الاسبان ما يشجعه على البقاء معهم، ولم يلبث أن فر، وإلتحق بالمجاهدين في تاجورة... "، وقد توقعوا من هروب الشيخ عبد الله أن ينظم صفوف المجاهدين ويذكي روح المقاومة فيهم، وكانوا يحسبون أكبر حساب لهجوم الأسطول التركي، فصاروا يحسبون أيضا حساب الشيخ عبد الله و العرب.[2]

وقد حملهم هذا الخوف على إجراء الإصلاحات في القلاع والحصون وقصر الحكومة والميناء، وكانوا في حاجة الى الحجارة، فهدموا بيوت بعض المهاجرين واستعملوا حجارتها في البناء، وكان إهتمامهم بالناحية الجنوبية من السور أكثر لأنهم كانوا يحسبون حساب التل الجنوبي الذي يسمونه الآن الظهرة لأنه مكان مرتفع فإذا وضع عليه مدفع أصبحت المدينة في خطر.

وكل هذه التحصينات لم تهدئ من روع الاسبان، ولم تبعث في نفوسهم الطمأنينة الى البقاء في طرابلس، ولذلك ما كادت منظمة القديس يوحنا تطلب ضمها إليها حتى أجيبت الى طلبها.[3]

ومنذ اللحظة التي تركز فيها أبناء بربروس في الجزائر أدرك الاسبان خطورة وضعهم وبغية في صمان التواجد المسيحي في تلك المناطق وطرد الأتراك وممثليهم منها، ورحب الملك الاسباني بالعرض المقدم إليه من طرف فرسان القديس يوحنا[4].

[1] عمر الباروني، المرجع السابق، ص61.

[2] الأنصاري أحمد بك النائب، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني**، طرابلس الغرب ليبيا، بد.ت، ص296.

[3] نفسه، ص297.

[4] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص152.

الذين بعدما طردهم السلطان سليمان القانوني(1566-1520م) من جزيرتهم برودس، فقرر حينها شارولكان ملك اسبانيا التنازل عن طرابلس الغرب لفرسان مالطة مقابل مساعدتهم للإسبان في حربهم البحرية ضد الدولة العثمانية التي بدأت تتجه بقوتها ناحية الشمال الإفريقي وبالتالي كسب فرسان مالطا موطئ قدم لهم بالسواحل الاسلامية قطعوا به الطريق على الامدادات العثمانية القادمة من شرق البحر المتوسط[1].

وفي سنة 929هـ/ يناير 1523م، غادر فرسان القديس جزيرة دودس إلى ايطاليا بدعوة من البابا كليمنت السابع، في حين رأى رئيس المنظمة الأب فيليب أن يطلب إلى شارل الخامس إمبراطور المملكة الرومانية منحة جزيرتي (مالطا وقوزو) لأنهم رءوا أنهما أفضل مكان لغزو بلاد المسلمين، ورأى شار ولكان في ذلك فرصة للتخلص من طرابلس الغرب التي أرهقته كثيرا، فقبل طلب الفرسان على شرط أن يقوموا بالدفاع عنها، فوافق مجلس منظمة الفرسان على الوثيقة القيصرية في يوليو1535م، وجاء وفد منهم الى طرابلس ليستلم المدينة من واليها (فرديناد ألركون) وهنا إنتهى حكم الاسبان في طرابلس، بعد أن دام عشرين سنة لم يتجاوزوا فيها أسوار المدينة، وقد عانى فيها الطرابلسيون شر ما يعانيه محكوم من حاكمه، فتسلم فرسان القديس يوحنا طرابلس في سنة942هـ/ يوليو1535م، وعينوا عليها واليا هو القديس (جسباري دي سنقوس) وهو أول والي من هذه المنظمة على طرابلس واستولى الفرسان على المنصورية والمايه والحشان والزاوية وصبراتة، وكانوا يجلبون أموالها بفرض الغرامات المالية ويأخذون الرهائن خوفا من الانتفاض عليهم، شريطة تعهدهم بقتال المسلمين والوقوف الى جانبهم[2].

[1] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص58.

[2] أتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، المصدر السابق، ص148.

لقد قبل المرشد الديني للفرسان شروط الملك الاسباني شارل الخامس والملقب بشار لوكان واتخذ طرابلس الغرب مقرا عسكريا بعدما اتخذ جزيرة مالطا مقرا روحيا للمنظمة، ومنذ ذلك التاريخ قرر الفرسان ترسيخ وجودهم في طرابلس التي انسحب منها الاسبان.[1]

ب/ نص وثيقة التنازل:

وهو مرسوم للإمبراطور الاسباني في 24مارس1530م، في (كاستل فرانكو فينتو)، بإسبانيا مع القديس (سنقوسا) والوفد المرافق معه وقد ورد فيه: (..رغبة منا في تدعيم واستقرار الدير والمنطقة والهيئة الدينية لمستشفيات القديس يوحنا واستنادا الى رغبتنا في أن ينال المرشد الأكبر الجليل المبجل ورؤساء الهيئة وقادتها وفرسانها مقرا ثابتا ومركزا محددا وانطلاقا من محبتنا والعطف الذي نحمله لهذه الهيئة فقد قررنا عن طيب خاطر التنازل الى المرشد الأكبر والمنطقة عن مقر دائم وثابت وأن مرسومنا هذا يعتبر ساري المفعول على جميع العهود القادمة بالنسبة إلينا والى جميع خلفائنا في ممتلكاتنا نتنازل ونسمح بكامل الإرادة الحرة الى المرشد الأكبر الى الدين الى المنطقة المعروفة باسم القديس يوحنا، (الجروسو لومياتو) إقطاعا نبيلا دائما ومشمولا بالإعفاء، المدينة والقلعة، الموقع والجزر التابعة إلينا في طرابلس الغرب ومالطة وجوزوا مع جميع البقاع التابعة لها).

وهذا يجسد مدى تأويل طرابلس الغرب بين أتباع البابوية لإحكام قبضتهم على الديار الإسلامية، وكان على الفرسان أن يقدموا صقرا كل عام عن الإحتفال بعيد جميع القديسين بيد نائب الملك[2].

المطلب الثاني: أهدافه

يقول محمود علي عامر في كتابه تاريخ المغرب: تأثر البابا بالوضع الذي حل على الفرسان للمرة الثالثة فطلب من الملك الاسباني إقتطاعهم قطعة من ممالكه الواسعة، وبما أن قواته في طرابلس الغرب تواجه ظروفا صعبة وخسائره أكثر من ربحه قرر منحهم طرابلس الغرب لعدة أسباب منها:

[1] أتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، المصدر السابق ، ص149.

[2] أحمد النائب الانصاري، **المنهل العذب في طرابلس الغرب**، بيروت، 1950م، ص19.

1- إنشغاله بالحرب مع فرنسا.

2- كسب تعاطف المسيحيين له ودفعهم للالتفاف حوله.

3- تخفيض الضغط عن قواته المتواجدة في الشمال الافريقي.

4- ترك المجال من أجل البحث عن مناطق للنفوذ بالعلم الجديد.

5- تنفيذ وصايا أبيه وأجداده بمحاربة المسلمين في شمال إفريقيا[1].

المبحث الثالث: تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس الغرب وردود الأفعال

المطلب الأول: تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس

بعد موت مولاي محمد ملك تونس مسموما على يد زوجته في فبراير من سنة 1531م، خلفه ابنها مولاي الحسن وابتعد عن الملك إخوته من أبيه، استقر مولاي الحسن وأخضع جميع ممتلكات أبيه بالدولة الحفصية، أنظر الملحق رقم 05 ص (76)

فبعث إلى الوالي المسيحي في طرابلس الغرب بواسطة(جوان الرابطي) وهو جندي مسيحي في خدمة ملك تونس يطلب صداقة منظمة فرسان القديس يوحنا وعقد معاهدة حسن الجوار بين البلدين وبعث الوالي المسيحي في طرابلس الة مولاي الحسن يخبره بأنه يخاطب في ذلك حكومته، ويرجوا ألا يبعث بالسلاح الى تاجوراء حتى يتم ابرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين الدولتين[2].

ولم ينجوا من أبناء مولاي محمد سوى رشيد الذي التجأ عند خير الدين بربروس مالك الجزائر في ذلك الوقت من الموت الذي لحق بإخوانه بعد موت أبيه، فطلب من خير الدين أن يساعده على استرجاع عرشه الذي سلبه منه أخوه الحسن حليف وصديق المسيحيين، فتحمس خير الدين لذلك ولم يترك فرصة الاستيلاء على تونس واخضاعها، فركب هو وجنوده السفن وحمل مولاي رشيد معه

[1] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص148.

[2] عمر الباروني، المرجع السابق، ص91.

ونزل على تاجوراء واحتلها بعدما طرد منها مؤيدي مولاي الحسن ورجاله وأبقى في تاجوراء أحدا من قواده، وكان يدعى هذا القائد (خير الدين) وأبقى معه بعض الاسلحة والامكانيات البحرية جنودا[1].

بسبب ان ميناء تاجوراء لم يكن صالحا لإيواء السفن، أسرع القائد خير الدين لإعداد حوض صغير لسفنه وبنى برجا هناك، ليدافع عن السفن الراسية في هذا الميناء وأدرك أن اقامته دون القيام بهذه التحصينات الأولية الضرورية قد يعرضه الى فقدان هذه القاعدة العامة لمحاربة المسيحيين وتكون سفنه ورجاله معرضة للوقوع تحت سيطرة فرسان القديس يوحنا المقيمين في طرابلس، وأعلن خير الدين الحرب على المسيحيين في البر والبحر واصطاد سفينتين يمتلكهما الفرسان بكل ما فيها من رجال وعتاد وبهذا ضعف نفوذ الفرسان على يد القرى الطرابلسية ولم يعد العرب يدفعون لهم ما فرضوه عليهم من جزية وإتاوات وتخلص سكان قبائل جنزور والماية والمنصورية والهنشير منها[2].

بعد أن تسلم فرسان القديس يوحنا طرابلس الغرب في محرم سنة 942 هـ، جويلية سنة 1535 م، وعينوا عليها واليا هو القسيس (جسباري دي سنقوسا) وهو اول وال من هذه المنظمة على طرابلس الغرب، وكانت مهمة الدفاع عن طرابلس شاقة، لأن الفرسان يواجهون عدة أعداء في طرابلس الغرب وهم: كراهة العرب في الداخل، والعرب المحاربين في الخارج، والأسطول التركي في البحر، ولم يكن لديهم من المال ما يكفي لما تتطلبه مهمتهم لإصلاح ما تركه الاسبان من الخراب في كل ناحية من نواحي الحياة، وأبدى الفرسان بعض النشاط فاستولوا على زنزور، والمنصورية (صياد) والماية والحشان والزاوية وصبراته، وكانوا يجبون أموالها ويفرضون عليها المغارم، ويأخذون رهائنها خوف الانتفاض

[1] عمر الباروني، المرجع السابق ، ص92.

[2] زرزور هي كلمة ليبية قديمة وأصلية تعني الشعاع من أشعة الشمس حسب القاموس الأمازيغي العربي لمحمد شفيق، ومازال أصلها ينطقونها هكذا منذ القدم رغم بدء تحريف نطق(ز الى ج) بسبب التعمق تعرب لسان السكان فأصبح البعض ينطقها جنزور، وتعتبر الماية من أعرق قبائل ليبيا الكبرى وذكرت قبل1350سنة في التاريخ القديم.

عليهم، وقد اضطر أهل الجهة الغربية للخضوع لأنهم في طريق الجيوش التونسية التي كانت تأتي لنصرة فرسان القديس يوحنا عن طريق البر، بخلاف الجهة الشرقية فقد احتفظت بنفسها بواسطة مشايخها.[1]

وقد وجد مراد آغا معاونة فعالة في محاربة فرسان القديس يوحنا وبعث أمير تونس إلى والي طرابلس الغرب بطلب منه صداقة منظمة القديس يوحنا وعقد معاهدة صداقة ودفاع معها، فرد عليه بأنه سيستشير حكومته، ويرجوه ألا يرسل معونة الى العرب بتاجوراء حتى تتم المعاهدة بين مؤسسة القديس وبينه.

وبلغت أخبار هذه المعاهدة خير الدين بربا روسا فجهز اسطولا ونزل على تجوراه واحتلها سنة 937هـ وطرد منها أنصار الحسن أمير تونس ومؤيديه، وابقى في تاجوراهأحد قواده، واسمه (خير الدين كرمان)، وابقى معه بعض القطع الحربية وجنودا واسلحة وكانت ميناء تاجورة غير صالحة لرسو السفن فأسرع كرمان لإعداد حوض فيها لسفنه، وبنى برجا ليدافع به عن السفن الراسية في هذا الميناء.[2]

وأعلن خير الدين كرمان الحرب على الفرسان في البر والبحر، واستولى على سفينتين للفرسان بكل ما فيهما وضعف نفوذهم خارج السور، وامتنع سكان زنزور وغيرهم من دفع الضرائب وتخلصوا من حكم الفرسان، وقد كان لغزو الترك على تونس أثر سيء على أميرها مما حمله على الالتجاء الى فرسان القديس يوحنا ومعاونتهم ضد الأتراك، وعقد معاهدة دفاعية ضد العثمانيين، وسنرى كيف أنه ساق جيشا على طرابلس الغرب بطريق البر مساعدة لفرسان القديس يوحنا.

وسمع الحسن أمير تونس بأعمال خير الدين في تاجورة، فجهز جيشا في شهر جمادى الثاني سنة 938هـ يناير سنة 1532م لمحاصرة تاجورة وقاده بنفسه، وقد تأكد الحسن من مساعدة فرسان القديس يوحنا له بالمدافع والعتاد الحربي بناء على وعدهم إياه بهذه المساعدة.

---

[1] محمد الهادي عبد الله أبو عجيله، **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الاسرة القرمانلية واثره على علاقتهما بالدول الأجنبية**، ط1، دار الكتب الوطنية، جامعة قازيونس، بنغازي، 1997م، ص293.

[2] محمد الهادي عبد الله أبو عجيله، المرجع السابق، ص294.

وزحف الحسن على طرابلس الغرب وحاصر جيش خير الدين في (زواغة) وتاجورة، وعند البرج القائم على الميناء، وبعث الى والي طرابلس يطلب منه وفاء الوعد بالنجدة، فلم يفي بوعده، في حينها جاءت نجدة الى خير الدين كرمان من بربروسا، وبلغ عدد اسطوله في تاجوراء 15 قطعة كبيرة، واستطاع كرمان أن يدافع عن تاجوراء.[1]

وجاء خير الدين بربروسا في حملة كبيرة لنجدة تاجوراء، ونزل على صفاقص أولا واحتلها في شوال سنة 940هـ ابريل سنة 1534م، وعلم الحسن بهذه النجدة، فرحل عن تاجوراء، وذهب لملاقاة خير الدين في صفاقس، وانكسرت حملة الحسن وخاب ظنه، وخاف الفرسان من تقدم كرمان الى طرابلس فالتجأوا الى اصلاح الحصون والقلاع، وأعوزهم المال فأرهقوا الناس بالضرائب.[2]

وفي سنة 940هـ/ 1534م، دعي بربروسا إلى الأستانة، واسندت إليه قيادة الاسطول العثماني كله، فازداد خوف الفرسان، وخرج بربروسا بأسطوله على سواحل إيطاليا واحتل تونس، وعين حسن آغا على قسم من الأسطول وارسله الى طرابلس، ورجع كرمان الى تاجوراء وكان قد ذهب الى صفاقس، ومعه كتاب من بربروسا يأمرهم فيه بمساعدته والالتفاف حوله، فانضمت اليه القبائل الطرابلسية ودفعت اليه خراج أراضيها وضرائب اشجارها وحيواناتها، وضرائب تجارتها، وحاصر طرابلس الغرب وضيق على أهلها حتى أصبحوا لا يقدرون على فتح الأبواب، وانتشرت قوات خير الدين حول طرابلس وبنى قلعة على بعد ميل من سور المدينة الى الجنوب وكانت تعرف بقلعة القائد، وكانت بجهة الظهرة ونصب عليها المدافع وكانت قنابلها تصل قريبا من الاسوار، وتضايق الفرسان من هذه القلعة اشد المضايقة.

وتهيأ كرمان لإحتلال طرابلس الغرب، وكان ذا عزم وقوة وإرادة، وحشد جنده ورجاله، وإنظم إليه المتطوعون من المايةوالزنزور، وتقدم الجيش نحو أسوار المدينة ومعه حملة السلالم، ونشبة الحرب واختلطت أصوات التكبير والتهليل بأصوات البنادق والمدافع ونصبت السلالم على الأسوار، وحمي

[1] محمد الهادي عبد الله أبو عجيله، المرجع السابق ، ص295.

[2] شارل فيرو، الحوليات اللبيية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ج1، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، طرابلس، 1994م ص96.

وطيس الحرب وضاقت الدنيا في وجوه الفرسان وظنوا ألا مناص من الأسر أو القتل، وكاد يرفعون الأعلام البيضاء علامة الإستسلام وفي آخر لحظة واتاهم النصر بسبب إنتشار خبر وفاة خير الدين بين الجنود فأخذو يتسللون تاركين مواقد الدفاع ليتحصنوا بقلعة الظهرة وكسب الفرسان المعركة.[1]

وجاء المدد إلى فرسان القديس من مالطة وأمكنهم من طريق التحايل وبث الفتنة بين سكان المنشية، أي يستميلوا بعضا منهم وانظموا إلى صفوفهم، ويقول الأستاذ الباروني "وجاءوا أفواجا وملأ الميادين ليباروا إخوانهم" وبلغ خبر إنضمام هؤلاء النفر للفرسان إلى خير الدين كرمان، فستعد للقائهم وتقد جيش الفرسان نحو قلعة القائد بالظهرة، ورابط جيش خير الدين في قبيلة أبي دبوس ولم يحاول كرمان أن يتعرض لزحف الفرسان وخلى بينهم وبين القلعة، واشتد الحصار على القلعة، ويئس المحاصرون من إغاثة خير الدين فاستماتوا في القتال وأبو الاستسلام فنسفت القلعة بمن فيها وذهبت أجسامهم أدراج الرياح، ولم يبقى أمام الفرسان إلى خير الدين الذي يعسكر في قبيلة أبي دبوس التي تبعد عن المدينة خمسة أميال فإنتقل من مكانه إلى تاجورة، وتقدم الفرسان إلى هذه القبيلة فنهبوها وأسرو من فيها وأضرموا فيها النار وإلى هنا إنقطعت أخبار خير الدين كرمان، ويقال أنه قتل في هذه المعارك وهيأت الظروف إلى دور آخر هو إستلاء التركي على طرابلس، وطرد حكومة القسس منها إلى غير رجعة، وكان ما ينقصه.[2]

المطلب الثاني: ردود الفعل حول التحالف

وما إن إستلم فرسان القديس يوحنا مدينة طرابلس في يونيو سنة 1530م حتى واجهوا عداء المواطنين وكراهيتهم في الداخل والخارج وعداء الاسطول العثماني لهم، بالإضافة الى احتياجاتهم إلى

[1] محمد الهادي ابو عجيلة، المرجع السابق، ص296.

[2] أتوري روسي، طرابلس الغرب تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص 52

المال لأنه لم يكن لديهم ما يكفي حاجتهم منه لتعمير ما خربه الإسبانيين وإعادة الأوضاع المتردية في مدينة طرابلس.

ولقد كان أول هجوم يشنه الليبيون ضد قوات فرسان القديس يوحنا في طرابلس سنة 1531م، كان بمساعدة (خير الدين باربا روسا)، حيث ألحقوا بقوات الفرسان خسائر فادحة، كما أنهم استطاعوا القضاء على أنصار مولاي (الحسن) أمير تونس من تاجوراء وأبقي (باربا روسا) أحد قواده (خير الدين كرمان) في تاجوراء لتولى شؤون البلاد ومحاصرة قوات الفرسان في طرابلس، وترك له بعض القطع الحربية للدفاع عن المدينة، ونصب ملكا عليها، وقد إتخذ الأهالي لهم ملكا على تاجوراء، وكل الوثائق التاريخية تشهد بهذا الذي حدث في 17أغسطس سنة1531م.[1]

ونتيجة لذلك ففرسان (القديس يوحنا) أصبحوا في موقف صعب، حيث باتوا يتوقعون الهجوم عليهم بين لحظة وأخرى، خاصة بعد سقوط تونس سنة 1535م في يد (خير الدين باربا روسا) فأصبح الأسطول العثماني قريبا منهم، وبناء على ذلك طالب حاكم مدينة طرابلس من الفرسان تزويده بالإمدادات الحربية، كما أطلعهم على الحقيقة الموقف وأعلمهم بانه لا يمكن الاحتفاظ بهذه المدينة مادام العدو يتحكم في تاجوراء، ومن أجل ذلك جهز فرسان القديس يوحنا: حملة بحرية مكونة من أربع سفن وعلى متنها أربعمائة جندي ومائة وخمسين من فرسان القديس يوحنا، بالإشتراك مع البابا الذي أيد هذه الحملة وباركها[2]

وتشير وثائق أرشيف مالطا إلى أن روما تمثل القلب للعالم المسيحي وتبارك الجولات التي يقوم بها أسطول الأرماد في البحر وفي البر أيضا.[3]

وبوصول الحملة الى طرابلس 1546م، لم تتمكن من تنفيذ خطتها المرسومة ماعدا استيلائها على برج القائد، وأدرك فرسان القديس يوحنا أن بقاءهم في طرابلس أصبح يستهلك منهم الأموال الباهظة

[1] اتوري روسي، المرجع السابق، ص53

[2] نفسه، ص97.

[3] شارل فيرو، المرجع السابق، ص 98

ويفتقدون في الحروب خيرة رجالهم، وأن تخلي الإمبراطور عن طرابلس للفرسان يتحتم أن ينظر إليه على أنه هدية مسممة قدمت للديانة النصرانية فالأحرى بالفرسان أن يسارعوا بإعادتها إلى الامبراطور، وإذا ما أصروا على بقائهم فإنه يتحتم أن يشترطوا عليه في حالة تمكنهم من الدفاع عنها وأن يبني فيها على نفقته تحصينات وقلاعا قادرة على الصمود أمام أي حصار يضرب حولها.[1]

ونظرا للعوامل المتردية التي جابهت منظمة فرسان القديس يوحنا، فقد أوفدت مبعوثا إلى (شارل الخامس) يعلمه بحقيقة الأوضاع التي تمر بها طرابلس، وأنه ليس في إمكانهم البقاء لأن كل المخاطر أصبحت تهددهم في كل لحظة وأخرى، فأبدى الإمبراطور إستعداده لمد يد المساعدة.

ومع هذا فإن الأمور بقيت على ماهي عليه: فلا الامبراطور وفى بوعوده ولا المنظمة تخلت عن المدينة، إلى أن وقعت حملة (شارل الخامس) على مدينة الجزائر سنة 1541م حيث حاصر (خير الدين كرمان) المدينة بقوة كبيرة، وهاجمها مما ضاعف من خطورة موقف الفرسان وباتوا مهددين بالأسر أو القتل الا أن إستشهاد (خير الدين) في هذه المعركة قد فتح أمامهم باب الأمل من جديد، لكنه لم يطل إذ أن توليه (مراد أغا) من بعد (خير الدين) الذي استشهد قد وضعت النهاية لهؤلاء الغزاة، حيث نجح في طردهم من مدينة طرابلس والاستلاء عليها باسم الدولة العثمانية.[2]

المبحث الرابع: حكم الفرسان وإدارتهم في طرابلس الغرب

المطلب الأول: حكم الفرسان في طرابلس

[1] نفسه ، ص98

[2] نفسه، ص99

بعدما حرر القائد العربي صلاح الدين الأيوبي بين المقدس من المسيحيين قام بطرد منظمة الفرسان من المقدس سنة1187م، فاضطروا النقل مركزها الى عكا وهناك بدأت تضرب المسلمين والحاق الاذى بهم، فلاحقهم المسلمون وطردهم من عكا فاضطرت المنظمة ثانية للانتقال الى جزيرة رودس[1].

استقر الفرسان في جزيرة رودس سنة 1306م، وكانوا قد احتلوا جزيرة قبرص ولكنهم انسحبوا منها لأنها لا تصلح أن تكون مقرا دائما لهم وموقعها لا يساعدهم على تحقيق ثأرهم من المسلمين ولا يضمن لهم اهدافهم الانتقامية، التي قاموا بتنفيذها بعد استلامهم حكم طرابلس الغرب، بفرضهم سياسة داخلية تقوم على اخضاع المناطق المجاورة لطرابلس الغرب، بغية تحقيق اكتفاء ذاتي وفتح الطريق للمتاجرة مع السكان، ولجأوا لتحقيق ذلك بتجنيد عناصر وطنية واحتجاز الرهائن وفرض الغرامات المالية، وسعوا لتجديد التحالف مع الحفصيين بغية محاربة المجاهدين وطوروا نضام التجسس لحجب المعلومات عن أعدائهم بغية تجنب هجماتهم المباغتة، وبدأوا بتحصين المدينة وزيادة استحكامها داخليا وخارجيا، فرممت الأسوار والقلاع الدفاعية وتحمل مسؤولية البناء والترميم أبناء المدينة تحت سياط الفرسان، وقد زاد ظلم الفرسان للأهالي بتعذيبهم بشتى الوسائل، لقد كان تصرف الفرسان يوحي بأن التغييرات التي يحدثونها في معالم المدينة تدل انهم يسعون للاستقرار في مدينة طرابلس الغرب بصورة دائمة وجعلها مقرا دفاعيا لهم وقد أطلق الفرسان على البرجين اللذين يقعان في الطرف الشرقي من المدينة اسم القديس جورج والآخر اسم القديس جاكومو، كما أطلقوا على الساحة الواقعة بينهما اسم القديسة باربرا[2].

وبالفعل بدأ الفرسان تحركاتهم العسكرية البحرية والبرية، ولاحقوا الأهالي ملاحقة شديدة بقصد إرهابهم لتهجيرهم منها، ولم يستطع السكان تحمل الممارسات الوحشية ففروا الى تاجوراء التي تبعد عن طرابلس بخمسة عشر كيلومتر فبدأوا يعدون لمقاومة الغزاة الجدد، وقد خسر الفرسان الكثير من الموارد في البر وابحر وذلك بسبب الهجمات المستمرة للمسلمين، فخاطبوا شارل بغية مساعدتهم او

[1] عمر علي بن اسماعيل، انهيار الاسرة القرمانلية في ليبية (1795-1830)، طرابلس، ليبيا، 1966م، ص21.

[2] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص153.

السماح لهم بتدمير المدينة لكنه رفض ذلك وأصر على بقائهم فيها، ومما زاد في تفاقم المشكلة أنهم لم يستفيدوا من حالة السلم التي سادت أوروبا بدءا من عام 1544م، أو من وفاة خير الدين بربروسا بعد ثلاثة أعوام، حيث استمر السكان بتضييق الخناق عليهم بمساعدة المجاهدين الذين اعتبروا أنفسهم غير معنيين بالهدنة التي عقدت بين شارل وسليمان القانوني في عام1547م، وقد أخذ حينها أحد مساعدي خير الدين بربروس وهو (درغوث ريس) على عاتقه مهمة قتال فرسان القديس يوحنا، ويمكن اعتبار مرحلة حكم الفرسان القديس يوحنا إمتدادا لعهد الحكم الاسباني، فقد حاولوا قدر المكان الحفاظ على مواقعهم في طرابلس الغرب، ومن أجل ذلك إختار المرشد الأكبر أفضل رجاله لمنصب الحاكم، إلا أنه وبسبب شح الموارد واستمرار عمليات المقاومة اليومية تم تبديل بعض الحكام في حين طلب البعض الآخر إعفائه من منصبه، وقد تكررت هذه العملية باستمرار طيلة عهد الفرسان فقد شغل(أحد عشر) شخصا هذا المنصب بقي أطولهم في الحكم لمدة خمسة اعوام، أما أقصرهم في الحكم بقي فيه لمدة أربع أشهر، وقد حاول وقتها شارل العاشر إستغلال الهدنة للقضاء على درغوث بإقناع سليمان القانوني بإحتلال طرابلس الغرب، وأرسل معه حملة بحرية بقيادة (مراد آغا وبعده سنان باشا)، وفرض الحصار على مدينة طرابلس الغرب في 4 أوت 1551م[1].

المطلب الثاني: إدارة الفرسان لطرابلس الغرب

وافق فرسان القديس يوحنا على تسلم طرابلس الغرب في عام 1530م، وهم مكرهون على ذلك، لمعرفتهم بما سيتعرضون له هناك من محاربة الطرابلسيين من جهة والعثمانيين من جهة أخرى، لكنهم إضطروا على ذلك الأمر، وقد تم تعيين (كامباردي سان قوسا) أول حاكم من قبل فرسان القديس يوحنا على طرابلس الغرب، والذي إتبع نظاما إداريا حازما في المدينة، في حين ظلت الأوضاع الإقتصادية فيها على ماهي عليه، حيث كان الفرسان يستوردون موارد التموين من صقلية، التي رفضت فيما بعد إمدادهم بالمواد الغذائية على إعتبار أن منظمة فرسان القديس يوحنا ليست جزءا من صقلية وعليهم دفع رسوم جمركية على البضائع التي يستوردونها منها، وكاد فرسان القديس يوحنا

[1] أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المصدر السابق، ص163.

أن يتركوا طرابلس الغرب لولا وساطة البابا مع الإمبراطور شارل الخامس بالموافقة على السماح لهم بالمتاجرة مع جميع الموانئ التابعة له من دون فرض الضرائب عليهم[1].

لكن المشكلة لم تنتهي بهذا الإجراء، نظرا للمخاطر التي كانت تتعرض له سفن الفرسان أثناء ذلك لبعد المسافة بين طرابلس الغرب ومالطه، فضلا عن المخاطر التي كانت تتعرض لها أثناء مضيق صقلية الذي كان ساحة حرب بين القوى المتصارعة في البحر المتوسط، بما أن ميناء طرابلس الغرب كان مكشوفا مما يجعله معرضا للعواصف البحرية ولهجمات المجاهدين المستمرة وإزاء تلك الأوضاع السيئة قرر الحاكم الجديد (برناردينيو ماشادو) الإستفادة من المناطق المجاورة لطرابلس الغرب فإستولى على المنصورية والجنزور، المايه، الزاوية، وصبراته، وفرض عليها إتاوة سنوية[2].

وأرسلت جماعة من الفرسان الى طرابلس الغرب لتدعيم حاميتها في ديسمبر 1534م، وكان الخطر وجود (بربروس) في تونس واضحا جدا حتى وجد شارل الخامس نفسه مضطرا الى أن يقود بنفسه حملة قوية ضد تلك القلعة المنيعة وقد شاركت فيها منظمة الفرسان وذلك بإرسال الرجال والسلاح، وهزم (بربروس) وطرد من تونس وأعيد الى العرش السلطان الحفصي مولاي الحسن في جويلية 1535م[3].

أما خير الدين في تاجوراء الذي يسند ويعاضده المغامرون من الاتراك الذين يتدفقون عليه من كل مكان وكان بعضهم مرسلا إليه من بربروسا فكان يعمل على تشديد الضغط على طرابلس، واستطاع أن يشيد برجا سمي برج القيادة وبرج القائد ومسجد تاجوراء، أنظر الملحق رقم 06 ص (77)

على بعد ميل فقط من القلعة، حيث كان الحاكم وقتئذ

[1] العبيدي، المصدر السابق، ص101.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص260.

[3] راسم رشدي، المرجع السابق، ص98.

(فرا جورج سخلنج) وكان أحد قادة البحرية الشجعان وقد حصل على نجدة أرسلت إليه من مالطة في صيف عام 1536م، تحت قيادة (بوتجيلا) الذي شن هجوما إستولى فيه على البرج وهزم خيرالدين وقتله، وخلفه قائد آخر هو مراد آغا[1].

وفي عام 1539م، جاء الى طرابلس الغرب (فرناندو دي براكا مونتي) وكان يشغل منصب المرشد الأكبر (جيوفاني دي هوميديس) الذي أخذ يوضح لشارل الخامس أهمية طرابلس الغرب وأوضاعها الدفاعية الضعيفة، وطلب منه أن يساعده في تسوير طرابلس الغرب من جميع النواحي بأسوار حصينة محاطة بالأبراج الملكية والخنادق أو أن يأمر جلالته بأن تنسق القلعة بالألغام وتخريب ميناء بردمه وإغراق المراكب المشحونة بالصخور والرمال عند مدخله[2].

أما المكاتبات المتبادلة بين السلطان لتونس والخاضع لحماية الاسبان (دون فرانتي جوانزاجا) نائب الملك في صقلية فتلقى الأضواء على طرابلس الغرب وبقاعها في تلك الأعوام فهو يرد على جوانزاجا الذي يوصيه بإرسال قوة لتحرير جربة وتاجوراء في 21 نوفمبر 1539م، بقوله: (أن الشوكة في العين تؤلم أكثر من الشوكة في القدم)، وفي العام التالي أخبر سلطان تونس جوانزاجا بأنه وصلت مراكب تركيبية الى سواحل الشمال الافريقي وأنها تركت قسما من ركابها في تاجوراء أما الباقي فيبدو أنه يتجه الى المهدية[3].

وأثناء ولاية فرناندو دي كامونتي، نجد للمرة الأولى الاشارة الى وجود المسيحيين المعتنقين للإسلام يدعى (مراد آغا)، الذي يقوم بمساعدة وتأييد بربروس قائد الأسطول العثماني بتضييق الخناق والحصار على المدينة ويزحف بخطوط جبهتين الى ثلاثة أميال عن القلعة[4].

لذا فقد تنامت الجهود من أجل حفر الخنادق لتعلية الحصن لتأمين الدفاع عن المياه[1].

[1] علي مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص97.
[2] عمر الباروني، المرجع السابق، ص87.
[3] عمر الباروني، المرجع السابق ، ص88.
[4] علي مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص78.

ومن أجل هذه الغاية أرسل الى طرابلس الغرب أكثر من مرة قائد عام للبحرية من طرف جورج سخلنج في ديسمبر 1542م وفي أبريل 1534م، وقد رفض سكان السواحل الغربية الذين كانوا خاضعين في البداية لطرابلس الغرب دفع الضريبة، وأثناء حكم (كريستوفانو دي سوليس فرفان)، في عام 1545م، تقررت الحملة ضد حاضرة الماية المتاخمة لحاضرة جنزور[2].

وتوجه حينئذ (فراسنيون جايتنارا) رئيس دير مسينا الى طرابلس على رأس أربعة مراكب للمنظمة.

وفي ليلة أوائل أغسطس1534م، خرج حوالي ألف من المسلمين، قسم منهم عن طريق البر والآخر عن طريق البحر، وتجمعوا قرب قرية ولكن سوء تصرف ضارب الطبل الذي أدى إشارة الهجوم قبل موعدها، كان سببا في إخفاق المباغتة ومع ذلك فقد كانت الغنائم وفيرة وتم أسر 452 أسير[3].

وقد قاد لافاليتي الذي حكم طرابلس الغرب من عام1546م، الى عام1549م، عدة حملات متكررة ضد مراد آغا ووسع المجال أمام المدينة المحاصرة بإبعاد نطاق الحصار، بدأها بحملة مفاجئة في أوائل عام 1546م، خرجت أثناء الليل للهجوم على تاجوراء عن طريق البر قوامها جنود مسلمون بالقرينات وتدعمها سفينتان قامتا بإنزال بعض المدافعين، الذين توغلوا حتى البرج الذي يحمي الميناء الصغير بتاجوراء، فاشعلوا النار في إحدى المراكب الخاصة بمراد آغا وعندما بدأ النهار تابعهم مراد آغا ولاحق جيش المنظمة في طريق عودته الى طرابلس وقد أسر في المعركة التي نشبت بين الفريقين الفارس (مارزيليا)[4].

[1] أحمد النائب الانصاري، المرجع السابق، ص97.

[2] محمد فريد سيالة، نحو غد مشرق، طرابلس، 1958م، ص97.

[3] محمد فريد سيالة، المرجع السابق، ص21.

[4] أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص98.

وقد تزايد القلق حول الدفاع عن طرابلس الغرب وتوجه المرشد الأكبر بطلب المعونة من البابا أيضا وأرسل الى روما في 8 يناير 1547م، رئيس الدير لمباردیا (فراكالو سفورزا)، لكي يتولى نقل الطلب والتركيز على الأوضاع الحرجة التي تواجهها المدينة[1].

وقد يكون من الملائم أن نورد هنا النص الكامل للتعليمات التي صدرت الى المبعوث " تعليماتنا إليكم أيها المتدين الجليل اللامع (فراكارو لوسفورزا) رئيس لمباردیا عن الأشياء التي ستتناولونها مع صاحب القداسة حول موضوع طرابلس الغرب، أولا قبلوا قدمي صاحب القداسة فور وصولكم الى روما وبلغوه نيابة عنا رغبتنا في خدمته كأبناء حقيقيين وخدام مطيعين وقدموا إليه الرسالة التي بعثناها باعتمادكم، وذكروه كيف أن منذ أن منح قداسته جزر مالطه وجوزوا وقلعة طرابلس الغرب الى المنظمة أبدينا إهتماما دائما بتدعيم هذه القلعة وتزويدها بالجنود وكافة الأشياء الضرورية متكبدين في ذلك نفقات طائلة وإرهاقا كبيرا للمنظمة"[2].

لقد أوضحت رسالة المرشد إيضاحا كاملا للاطار العام للأوضاع ولكن المساعدات لم تأتي لا من البابا ولا من الامبراطور وبالتالي خاب أمل استرخاء المرشد الاكبر وتوالت التداعيات عندما تلاشى نفوذ اسبانيا وسيطرتها على إفريقيا منذ أن مني جنود شارل الخامس في عام 1541م، وأسطول أندريا دوريا بهزيمة منكرة في الجزائر، وأصبح الأسطول التركي المتحالف مع الأسطول الفرنسي سيدا للبحر المتوسط[3].

وفي عام 1547م، مات خير الدين بربروس المؤسس والرئيس للقوة البحرية التركية ولكن بقي للأتراك قادة لهم وزنهم وقيمتهم وكان في مطلعهم من حيث الشهرة والمكانة (طرغود ومراد آغا وسنان)[4].

[1] مصطفى حبشي محمد زهران، **مجلة المؤرخ العربي**، الطبعة رقم15، القاهرة، 2007، ص8.

[2] محمد حبشي محمد زهران، المرجع السابق، ص9.

[3] محمد فريد سيالة، المرجع السابق، ص18.

[4] مصطفى حبشي محمد زهران، المرجع السابق، ص453.

ومن جانب الفرسان أصبح وضع طرابلس الغرب ضعيفا لا يقوى على الصمود بل مرت فترة وبالتحديد عام 1548م، وجدت المنظمة نفسها مدفوعة الى التفكير في تركيز قوتها في طرابلس الغرب فقط بعد أن تأكد لديها استحالة الاحتفاظ بطريقة مشرفة ومضمونة بطرابلس ومالطه، وقد خططت لذلك بناءا على اقتراحات قدمها بعض الفرسان من ذوى المكانة والنفوذ منهم (لافاليتي) ولكن تغلب الاتجاه الى ترك المشكلة دون حل نهائي وانتظار ما يسفر عنه الزمن والأحداث من توجيهه[1].

[1] نفسه، ص454.

تمهيد:

بعد أن تسلم فرسان القديس يوحنا الحكم في طرابلس الغرب عانى السكان الطرابلسيون التهجير والتشرد في بلادهم فقاموا بحل أخير إعتبروه هو المنفذ للخلاص من هذه المنظمة والذي تمثل في الاستنجاد بالدولة العثمانية التي بدورها كانت تتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الفرسان وطردهم من البلاد العربية، فهل حقق العثمانيون مرادهم؟ وهل الاستنجاد الذي قام به الطرابلسيون كان له تأثير ايجابي أم سلبي؟

المبحث الأول: إستنجاد الأهالي بالباب العالي(الدولة العثمانية)

المطلب الأول: الوفد الليبي

يرى المؤرخون أن من أهم الأسباب التي دفعت العثمانيين للقدوم إلى طرابلس الغرب هو إستنجاد الأهالي بهم، عندما إجتمع الليبيون في تاجوراء فرارا من إضطهاد الفرسان ظلمهم لهم وأدركوا عجزهم عن مقاومتهم بمفردهم، فإجتمعوا على ضرورة مراسلة الدولة العثمانية وطلب المساعدة منهم، فتوجهوا بوفد إلى أسطنبول سنة 1536م، وعرضوا على السلطان مصابهم وما حل بهم على يد الفرسان[1].

ويرى بعض المؤرخون أن تسليم طرابلس الغرب للفرسان كان من أهم الأسباب التي دفعت السلطان سليمان القانوني لتلبية طلب الوفد، ومهما تكن الأسباب والدوافع فإن قدوم الوفد أيقض في السلطان نار الإنتقام من الفرسان وملاحقتهم لأنهم شكلوا عامل قلق وإزعاج طوال فترة حكم أجداده وآبائه وحتى حكمه، وتذكر بعض المصادر العثمانية المقربة من القصر أن السلطان سليمان القانوني فرح جدا بطلب الليبيين للمساعدة، ولا سيما بعد مبايعة الوفد له بالخلافة ويعد أول وفد عربي إسلامي يقابله ويبايعه[2].أنظر الملحق رقم 07 ص(78)

[1] حسن صافي، طرابلس الغرب تاريخي، استنبول، 1328هـ، ص39.

[2] سليمان خان الاول بن سليم خان الاول ،كان شاعر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين العثمانيين وثاني من حمل لقب امير المؤمنين من أل عثمان ،بلغت الدولة الاسلامية في عهده اقصى اتساع لها حتى اصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وصاحب أطول فترة حكم1520م حتى وفاته في سبتمبر7سبتمبر 1566م ، خلف أبيه سليم خان الأول وخلفه ابنه سليم الثاني، عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني، وذلك لما قام به من اصلاح في النظام القانوني القضائي العثماني، اصبح سليمان حاكما بارزا في أوربا خلال القرن 16م ، يتزعم قمة سلطة الدولة الاسلامية العسكرية والسياسية والاقتصادية، قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودس وأغلب أراضي مملكة المجر من قبل ان يتوقف في حصار فيينا في 1529م ، ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال افريقيا حتى الجزائر، تحت حكمه سيطرة الاساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط الى البحر الأحمر حتى الخليج، أنظر: احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، الجزائر، د.ت، ص28.

المطلب الثاني: الرد العثماني اتجاه الاستنجاد الليبي

في حينها كان مراد آغا يوضح للسلطان تطلعات المسلمين إليه شرقا وغربا فذكره باللقب الذي ورثه عن آبائه وأجداده (الغازي ابن الغازي) وأن مهمته نجدة المسلمين أينما كانوا، وأن الغزو يعني الجهاد في سبيل الإسلام وحماية دياره من الإعتداءات التي تأتي من أعداء الدين، فكيف له السكوت ودماء المسلمين تسفك وديارهم تنتهك[1].أنظر الملحق، رقم 08 ص(79)

ومراد آغا يعتبر أيضا من أهم الأسباب التي دفعت السلطان سليمان القانوني لتلبية طلب الوفد، ومهما تكن الأسباب والدوافع فإن قدوم الوفد أيقض في السلطان نار الإنتقام من الفرسان وملاحقتهم لأنهم شكلوا عامل قلق وإزعاج طوال فترة حكم أجداده وآبائه وحتى حكمه، وتذكر بعض المصادر العثمانية المقربة من القصر أن السلطان سليمان القانوني فرح جدا بطلب الليبيين للمساعدة، ولا سيما بعد مبايعة الوفد له بالخلافة، كما أوضحنا سابقا.[2]

المبحث الثاني: الصراع العثماني الصليبي ونتائجه

المطلب الأول: الصراع العثماني الصليبي

كانت المقاومة وحركة الاسترداد قد انطلقت من اقصى بلدان اوروبا الغربية من اسبانيا لإيقاع المسلمين بين فكي كماشة وحتى استطاعت في 1492م أن تطوى صفحة آخر الحواضر الإسلامية في غرناطة وهي بني الأحمر، وبذلك تلاشت السيادة الإسلامية في شبه جزيرة ايبيريا، وأعقب ذلك ان

[1] ولد مراد آغا في را قوسيا من البلاد الايطالية ، واسره القراصنة وباعوه في سوق النخاسة وآل امره ال قصر السلطان سليم، واجريت له عملية اخضاع ، ليباشر خدمت النساء في القصور الملكية بعد عزله من منصبه استقر مراد آغا بمنطقة تاجوراء وهي احد نواحي طرابلس من الجهة الشرقية وبنى بها مسجدا كبير سمي بجامع مراد آغا بين سنتي960هـ-967هـ، ونقل له اعمدة الرخام من مدينة لبدة، المدينة الأثرية المشهورة، وهو من اكبر الجوامع الموجودة في طرابلس وقد أقامه على 48 سارية، ويقول ابن غلبون في التذكار ما يلي" وكان مراد علجا خصيا للسلطان ربيَ بأرض المشرق وتعلم العربية " ويقول ايضا"كان مراد آغا من الأغوات الحرم اللذين نشأوا بالسرية السلطانية، وكان يحسن اللغة العربية وله كفاية فيما يقلده إياه وشهامة فيما يستعان به، وتميز بالشجاعة والاقدام ولم يلبث ان صار قائدا لإحدى السفن ثم عين حاكما على تاجوراء، أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص137.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص29.

أصدر الملك الكاثوليكي (فيرديناند) والملكة (إيزابيلا) أمرا بقطع دابر جميع المسلمين ومواصلة تعقبهم في عقر دارهم[1].

وبالتالي أصبحت الحرب سجال بين قوتين غير متكافئتين في مياه البحر المتوسط حتى نجح الاسبان في الاستيلاء على طرابلس الغرب في 25 يوليو1510م، وغيرها من المدن الإسلامية في الشمال الافريقي وتثبيت أقدامهم وبالتالي احتكار تجارة المعادن النفسية والتوابل التي تأتي اليهم عن طريق القوافل من داخل قارة افريقيا[2].

وقد استقبلت أوربا خبر سقوط طرابلس الغرب تحت إمرة الاسبان بابتهاج كبير وبعد انتفاخ أوداجها شجع هذا الانتصار ملوك اسبانيا واذكى أمانيهم وحرك شهواتهم الاستعمارية في ابتلاع ثروات البلاد سواء الطبيعية او البشرية كما سرى هذا الخبر في إيطاليا التي غمرها السعادة والابتهاج المتدفق اما المسلمون فقد شعروا بالمرارة واصابهم الحزن على سقوط طرابلس الغرب منارة العلم والعلماء المسلمين، ولما استقرت الأمور نسبيا في طرابلس الغرب، رغب (الكونت بدروا دي نافارو) في جعل طرابلس الغرب قاعدة لغزو الشمال الافريقي فانطلق منها الى جزيرة جربة في تونس[3].

وفي صدر عام 1513م صارت مدينة طرابلس الغرب تابعة لصقلية إداريا بعد تنازل ملك اسبانيا عنها لنائبه (جوان فرانشيسكو) الذي اصبح واليا على طرابلس الغرب وقد شمر هذا الوالي عن ساعد الجد من اجل تعمير المدينة بجلب عائلات صقلية لتثبت أقدامه على حساب أبناء البلاد[4].

وفي أوائل عام 1516م مات ملك اسبانيا (فيرديناند) وبذلك توقف اهتمام الاسبان بمسألة افريقيا خاصة وان خلفه الملك شارل الخامس انغمس في الحروب الاهلية داخل اسبانيا وبالرغم من هذا فقد

[1] راسم رشدي، طرابلس الغرب، طرابلس، 1953م، ص14.

[2] عمر الباروني، المرجع السابق، ص9.

[3] مصطفى بعبو، المجمل في تاريخ ليبيا، القاهرة، 1947م، ص22.

[4] عمر الباروني، المرجع السابق، ص14.

ظلت الحرب سجال بين الاسبان والطرابلسيين حتى عام 1530م والتي كانت تعتمد على الكر والفر من كلا الطرفين[1].

توالى تسرب الخوف الى قلوب الاسبان من هجمات المسلمين المتدفقة والمتجددة لذا قاموا بتحصين المدينة بالأسوار والأبراج والقلاع التي تتخللها المدافع وبالتالي تقوقع الاسبان داخل الاسوار اتقاء هجمات القوى الإسلامية المستقرة فاصبح الاسبان حاضرين بشخصهم غائبين بسلطانهم فقاموا بتسليم المدينة الى فرسان مالطة في أوائل عام 1530م، الذين كانوا في سابق عهدهم يشكلون منظمة خيرية مقرها القدس مهمتها مساعدة حجاج بيت المقدس من المسيحيين وتحولت بعد ذلك الى منظمة عسكرية في أثناء الحروب الصليبية تعنى بمعالجة الجرحى في معارك الحربية[2].

ولما انتصر صلاح الدين الايوبي على الصليبيين طرد معهم هؤلاء الفرسان في القدس فلجأوا الى عكا لكن طردوا منها أيضا 1291م حيث تقوقعوا في جزيرة رودس، وكونوا مملكة مسيحية تحت رعاية البابا واستولوا على جزيرة الروديكاينز[3].

وفي رودس اخذوا يعرقلون الملاحة العثمانية في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط فتأهب السلطان سليم الأول لمحاربتهم في البحر بعد نجاحه في احكام الحصار على جزيرة رودس حتى استسلم الفرسان وذلك في ديسمبر1522م في عهد السلطان سليمان الأول ولم ينتقم منهم السلطان بل سمح لهم بمغادرة الجزيرة، فرحلوا منها الى إيطاليا بدعوة من شارل الخامس لتكون مركزا لهم يشنون منها الغارات على الحواجز الإسلامية في شمال افريقيا، وفي صدر عام 1530م وافق الامبراطور على منحهم جزيرة مالطة بشرط درء الاخطار الإسلامية عن مدينة طرابلس الغرب والتعهد بحمايتها من الهجوم الاسلامي[4].

[1] مصطفى بعبو، المرجع السابق، ص27.

[2] محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، القاهرة، 1957م، ص8.

[3] علي مصطفى المسراتي، صحافة ليبيا في منتصف قرن، بيروت، 1960م، ص25.

[4] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص41.

وفي يونيو 1530م كان مندوبو المرشد الأكبر الذي انتقل في هذا الوقت الى نيس ثم الى سيراكوزه قد استلموا السيطرة على مالطة واتجهوا الى طرابلس الغرب (ليبيا) حيث استلموا من فرانشيسكو نائب الحاكم كشفا بالمدفعية التي كانوا ملزمين بإرجائها الى الامبراطور وسرعان ما وصلت الى طرابلس الغرب سفينتان تحملان العتاد والمؤونة وقافلة من الفرسان وفرقة من الجنود تحت قيادة (جاس باري دي سانجوسا) أول حاكم يوفد الى طرابلس الغرب من المنطقة[1].

إن مسؤولية النهوض بأعباء قلعة والتهديد المستمر من البر والبحر والأوضاع القلعة للمنطقة التي تنتظم شؤونها في مقرها الجديد في مالطة وبعض الانقسامات الداخلية بين الفرسان أنفسهم، كل هذا انعكس بالسلب على مركز الحاكم في طرابلس الغرب الذي أصبح دقيقا وحرجا وبالتالي اسند هذا المنصب الى شخصيات من ذوي الشأن والشجاعة مثل (أور ليو بوتيجلا) وهو قائد محنك في البحرية وأيضا القائد (جيوفاني لافا تيلي) من عام (1530م إلى 1549م) الذي تميز بالدهاء والمكر والتبحر في الادارة[2].

وكان الى جانب الحاكم في الغالب نائب له وفارس يشغل منصب أمين الخزانة ويهتم بإدارة البنود المالية التي لم تكن تغطي اعمال التحصين والدفاع وكان يقيم في القلعة خمسون من الفرسان ومائتان تقريبا من الجنود بينهم اثنا عشر مدفعيا[3].

كان يتولى المدينة حامية من الأهالي لا يزيد عددها على مائة بين الفرسان ومشاة اما التبادل التجاري مع الأهالي فقد كان يجري في الأسواق وهو ما يطلق عليه في الوثائق(COCO) كوكو.

وقد فرضت ضريبة رؤوس على مدينة طرابلس وتخموها مثل جزور والماية وزواغة تدفع بطريقة منتظمة سنويا بواقع عشرة دنانير للفرد وفي تاجوراء التي تقع على مسافة اثني كيلومترا شرقي طرابلس، تركزت

[1] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص13.

[2] أحمد النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص21.

[3] علي مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص33.

مقاومة العرب والمغامرين الاتراك الذين كانوا يتطلعون الى استرجاع طرابلس الى أحضان الإمبراطورية العثمانية[1].

وفي المقابل كان سلطان تونس مولاي الحسن الذي تولى العرش عام 1526م يدعي حقوقا شرعية للسيادة على طرابلس الغرب وكان على علاقة حسنة مع فرسان مالطة ضد العرب فكان عونا لهم وعينا ضد العرب واظهر منافسة قوية ضد (خير الدين بربروس) سيد الجزائر الذي تزايدت قوته وأصبح قائدا عاما للأساطيل العثمانية في عرض المتوسط[2].

وفي خضم تلك الاحداث قاد (أوري ليو بوتيجلا) الذي عهد اليه بحكم طرابلس الغرب عام 1535م، حملة ناجحة لحماية طرابلس الغرب، أما طفله (جارسيا كورتس) فقد اصطحب معه من مالطة 1533م، مهندس المنظمة (مايسترو بثينو) وهو من فلورنسا وكان مكلفا بدراسة حاجات القلعة من التحصينات العاجلة، وقد تم فعلا تدعيم الأوضاع الدفاعية في القلعة خلال الأعوام التالية في عهد الحاكم (سخلنج) وفي هذه الأثناء مات في مالطة المرشد الأكبر (ليزبي أداموه) عام 1533م وأصبحت أوضاع طرابلس مهددة بالخطر بعدما احتل خير الدين (بربروس) تونس في شهر يونيو عام 1534م[3].

وما أن تولى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية في عام 1520م، حتى شمل طرابلس الغرب بإهتماماته الأولية عن طريق تقديم العون والمساعدة لسكان تاجوراء وفاءا لطلب الوفد الذي كان قد إلتقى مع والده السلطان سليم الأول، فقد قام السلطان سليمان القانوني بإرسال قوة عثمانية بقيادة مراد آغا الى تاجوراء لتولي أمرها، ولمواجهة الإسبان الموجودين في طرابلس الغرب، وقد

[1] عمر الباروني، المرجع السابق، ص69.

[2] نفسه، ص89.

[3] مصطفى بعبو، المرجع السابق، ص301.

استقبله سكانها بكل حفاوة وترحاب، ثم بدأ مراد آغا النظر في أمور البلاد وترتيب أوضاعها، لكي يتسنى له فيما بعد الهجوم على طرابلس الغرب وفتحها[1].

وعندما شن غارته الأولى عليها عام 1521م، وجدها محصنة بالحامية الإسبانية، بحيث تعذر عليه إقتحامها، لذلك أرسل إلى السلطان العثماني يطلب منه المدد لتنفيذ عملية الهجوم على طرابلس الغرب، وقبل أن تصل إليه المساعدات من السلطان، قام ببناء قلعة صغيرة بين تاجوراء وطرابلس الغرب لتكون قاعدة انطلاقه نحوها[2].

وفي غضون ذلك كان الشيخ عبد الله المرابط قد عاد مع 50 عائلة إلى طرابلس الغرب فتأمل الإسبان عودة الحياة الطبيعية إلى المدينة، وإنتعاشها تجاريا لكن ذلك كان مستحيلا في ظل الحصار الذي كان قد فرضه عليها مراد آغا، بحيث منع عنها الاتصال بالداخل أو التجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء[3].

وبسبب الإغارات المتكررة على الحامية الإسبانية، وسوء أوضاعها المعيشية والإنشغال، ليضمن بذلك حماية ممتلكاته في جنوب إيطاليا، وللمحافظة على الملاحة في الجزء الأوسط من البحر المتوسط، فضلا عن التخلص من الأعباء المالية الضخمة التي تصرف على الحامية[4].

وفي هذه الفترة، بدأت بوادر تقارب بين السلطان الحفصي أبي محمد الحسن 1526-1543م، سلطان تونس مع فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، عندما عرض السلطان الحفصي عليهم الدخول في معاهدة صداقة ودفاع ضد العثمانيين، لأن السلطان الحفصي كان يخشى إمتداد النفوذ العثماني إلى تونس لذلك فضل التحالف مع النصارى من أجل الحفاظ على عرشه، لم يوافق حاكم طرابلس الغرب على ذلك الطلب إلا بعد استشارة المرشد الأكبر للمنظمة في مالطه دي ليل آدم، كما طلب من أبي محمد الحسن عدم إرسال أي معونة إلى سكان تاجوراء ريثما تتم الموافقة على

[1] محمد ناجي، المرجع السابق، ص165.

[2] نفسه، ص165.

[3] العبيدي، المرجع السابق، ص95.

[4] أتوري روسي، ليبية منذ الفتح العربي حتى 1911م، المصدر السابق، ص38.

المعاهدة المقترحة، فقد وجد سكان القرى والضواحي أنفسهم محاصرين بين ضغط فرسان القديس يوحنا وحليفهم الجديد السلطان الحفصي، فدفعهم ذلك إلى الخضوع لفرسان القديس يوحنا عدا بلدتي جنزور وتاجوراء اللتين كانتا تهددان طرابلس الغرب باستمرار، حيث كان يحكمها شيوخ مستقلون، وقد وجد فيهم مراد آغا معاونة فعالة ضد فرسان القديس يوحنا[1].

لم تستمر جنزور في مقاومتها، فقد أعلن شيوخها إستسلامهم لحاكم طرابلس الغرب حفاظا على مصالحهم التجارية، في حين إستمر مجاهدوا تاجوراء في مقاومتهم لحاكم طرابلس الغرب، ولم يستطع فرسان القديس يوحنا إخضاعها، لما علم خير الدين باشا بربروس بهذا الأمر توجه بأسطوله نحو تاجوراء وسيطر عليها، ثم إتلقى أحد قادته المشهورين ويدعى خير الدين كرمان والذي يلقب بمطارد الشيطان، بينما أطلقت عليه المصادر الآتية اسم ملك تاجوراء[2].

ومنذ بداية إستلام خير الدين باشا فرمان تاجوراء عمل على إجبار شيوخ جنزور على فسخ الحلف الذي كانوا قد عقدوه مع فرسان القديس يوحنا ثم شرع في تحصين بلدة تاجوراء بالأبراج العالية المزودة بالمدافع، وشكل جيشا إلى جانب القوة التي تركها له خير الدين باشا بربروس، وضم متطوعي سكان تاجوراء والمناطق المجاورة لطرابلس، وجهزهم بالأسلحة والذخائر التي كانت تصله من خير الدين باشا ومن الدولة العثمانية أيضاً، كما أنشأ مرفأ لرسو وإستقبال السفن القادمة إليه، ثم أنشأ قلعة حصينة بالقرب من طرابلس سميت ببرج القائد[3].

بدأ خير الدين فرمان عمله العسكري بصب هجمات الحفصيين إلى أن تمكن وبمساعدة خير الدين من إبعادهم عن تاجوراء، ليركز إهتمامه فيما بعد لمقاتلة فرسان القديس يوحنا بطرابلس الغرب، فشرع بفرض حصار عليها، ثم أخذ يشن الهجمات المتوالية على المدينة بعد تضييق الحصار عليهم،

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص96.

[2] نفسه، ص218.

[3] العبيدي، المرجع السابق، ص15.

لكن خير الدين فرمان لم يستطع أن يقتحم المدينة، لشدة الحماية عليها من قبل القائد (مرنن ايليو بوتيجلا) لا سيما بعد الامدادات التي تلقاها من قائد المنظمة في مالطه[1].

في هذه الفترة كان خير الدين قد أستدعي إلى الأستانة لقيادة الأسطول العثماني، إلا أنه ظل يتابع الأحداث في طرابلس الغرب، وما كان يسببه الحفصيين من مضايقات تجاه عمل خير الدين كرمان، فقرر إدخال تونس تحت النفوذ العثماني، فلما علم (دي ليل آدم) المرشد الأكبر لمنظمة فرسان القديس يوحنا بخروج خير الدين باشا من إستانبول، قام بإرسال نجدة عسكرية إلى طرابلس الغرب خشية تعرضها إلى هجوم مباغت ولما علم المرشد الأكبر بوجهة خير الدين باشا والتي إستولى فيها على تونس عام 1534م، بعث رسالة إلى حاكم طرابلس الغرب يدعوه فيها إلى أخذ الإحتياطات الكافية من حيث الإلتزام بالإنضباط العسكري ومعاقبة المخالفين، وتسليح السفن وتخزين المواد الغذائية لأن القلعة قد تتعرض إلى حصار طويل أو هجوم من قبل خير الدين باشا، الذي تمكن من السيطرة على تونس، كما أوصى حاكم طرابلس الغرب بإعادة النجدة العسكرية التي أرسلت إلى طرابلس الغرب في حالة زوال خطر خير الدين باشا واجه فرسان القديس يوحنا مشاكل كبيرة في طرابلس الغرب لا سيما بعد استيلاء خير الدين على تونس، كما رفق ذلك وفاة الملك الأكبر

(دي ليل آدم)، الذي بموته فقد فرسان القديس يوحنا شخصية قيادية مهمة، بالرغم من الجهود التي بذلها المرشد الأكبر الجديد (بيترنو ديل بونتي) للمنظمة[2].

استغل خير الدين فرمان هذه الاوضاع للقيام بهجوم على طرابلس الغرب، إلا أن حاكم المدينة (جورج شيلينج) علم موعد ذلك الهجوم عن طريق جواسيسه، لذلك عمل على زيادة حماية المدينة ريثما تصله الامدادات التي بعث بطلبها من مالطه، وكاد خير الدين فرمان أن يدخل المدينة لولا وصول الامدادات العسكرية من مالطه، والتي أخذت بالتقدم خارج اسوار المدينة فتحول موقف المجاهدين من الهجوم الى الدفاع، أصيب خلالها خير الدين فرمان بليغ جعله غير قادر على مواصلة

[1] العبيدي، المرجع السابق، ص16.

[2] أتوري روسي، ليبية منذ الفتح العربي حتى 1911م، المصدر السابق، ص13.

القتال حيث نقل على إثرها الى تاجوراء، فتقدمت على اثر ذلك قوات حاكم طرابلس الغرب نحو قلعة برج القائد حيث عملت على نسفها، والقضاء على الحامية الموجودة بداخلها، كما استطاعت تلك القوات من اخضاع بلدة جتزور والمناطق القريبة من تاجوراء وبسبب انشغال خير الدين في عامي1537-1538م في الحرب مع الاسبان في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، توقفت المواجهة مع فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب خلال هذه الفترة[1].

وعلى الرغم من ذلك قام خير الدين باشا في عام1537م بتعيين أحد ساعديه وهو مراد آغا حاكما على تاجوراء مكافأة له على خدماته للدولة العثمانية محل خير الدين فرمان، وقد تمتع مراد آغا بنفوذ قوي، وشهرة واسعة بين السكان، لما امتاز به من خلق وتواضع كبير وقد وصفه أحد المؤرخين الليبيين بقوله:"كان اعظم الحكام العثمانيين في طرابلس" بينما اطلق عليه المؤرخون الشيوخ لقب

(ملك تاجوراء) كلفه خير الدين فرمان أخذ مراد آغا بإعداد قوات المجاهدين من جديد، وعمل على تدعيم تحصيناته في تاجوراء، وأقام الحواجز أدرك حاكم طرابلس الغرب قديمة خطورة التهديد وحاميتها قليلة لا تستطيع أن تصد اي هجوم إذا اشتركت القوات العثمانية مع قوات مراد آغا لذلك بادر رئيس المنظمة بالطلب من الامبراطور شارل الخامس بتحصين المدينة من جميع الجهات بالاسوار والابراج بينما كان مراد آغا يشن غاراته المتكررة على طرابلس الغرب، كان طرغوت ريس قد هاجم جزر كرسيكا، فأرسل اليه خير الدين باشا في عام 1540م ليكلفه بمهمة تدمير أسطول منظمة فرسان القديس يوحنا في مالطه، لكنه وقع في الاسر إثر كمين دبره له أندريا دوري بالاشتراك مع فرسان القديس يوحنا في 15 حزيران من العام ذاته[2].

ومع ذلك تابع مراد آغا جهوده في مواجهة فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، الذين ازداد وضعهم سواء بعد فشل شارل الخامس في السيطرة على الجزائر عام 1541م، ووصول سفينتين عثمانيتين مع 300 جندي الى تاجوراء في عام 1542م عندما كلف مراد آغا بمهمة فتح طرابلس

[1] البرغوثي، المرجع السابق، ص431.

[2] العبيدي، المرجع السابق، ص128.

الغرب طلب من نائب ملك صقلية إمدادهم بمساعدات لتحصين المدينة وحاميتها، لكن الاخير لم يستجب للنداء، مما اضطر المرشد الاكبر الى تجنيد حوالي260 جنديا على عاتقه الخاص، كما أرسل أربع سفن يقودها القائد العام لبحرية المنظمة، للتعاون مع حاكم طرابلس الغرب (فرناندو دي بوكا مونتي) من اجل تحصينها ودفاعاتها لكي تتمكن من صد هجوم مراد آغا من جهتي البر والبحر[1].

كان لوصول التعزيزات العثمانية رد فعل لدى سكان المناطق اتي أخضعها فرسان القديس يوحنا فأعلنوا خروجهم عن طاعتهم وامتنعوا عن دفع الضرائب، فكانت فرصة لمراد آغا ان يوسع من نطاق نفوذه، فاتجه على رأس قوة مؤلفة من 4000 مقاتل أخضع بها كل من مسلاته وترهونه القريبتان من طرابلس اغرب، وضع فيها من قواته عند قبيلة أبي دبوس كانوا ينتقلون بين الضواحي يعترضون القوافل القادمة الى طرابلس الغرب كما أصبح مراد آغا قائدا على غريان، وبهذا تمكن من أن يوحد معظم مناطق طرابلس الغرب تحت نفوذه[2].

تلقى فرسان القديس يوحنا ضربة جديدة لفقدان حليفهم ابي الحسن في عام 1543م عندما خلع عن العرش، ونصب ولده أبا العباس المتحالف مع العثمانيين بدلا عنه وفي ظل هذه الاجراءات ارسل القائد الاكبر لفرسان القديس يوحنا قائدا بحريا الى طرابلس الغرب مرة أخرى، وبتعليمات صارمة لأخذ الحيطة والحذر من هجوم مفاجئ قد تشنه القوات العثمانية ثم أرسل وفدا الى شارل الخامس يبين له الحالة التي وصلت اليها طرابلس الغرب، ويطلب منه العون والمساعدة في ذلك فتعهد الامبراطور بتقديم مساعدة في حالة تعرضهم للهجوم المباشر فقط، وفي الاعوام 1544-1547م أدت مرحلة من الهدوء النسبي في كافة أنحاء اوربا عندما استهل بحر بين الامبراطور شارل الخامس والسلطان القانوني لم يستفد فرسان القديس يوحنا من مرحلة السلام هذه، بل كان عليهم أن يواجهوا خطر جديدا يتمثل ببروز قوة طرغوت ريس بعد ان عمل خير الدين باشا بربروس اثناء وجوده في

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص209.

[2] العبيدي، المرجع السابق، ص132.

طولون على اطلاق سراحه مقابل 3000 قطعة ذهبية أعطيت لأندريا دوريا، حينئذ زوده خير الدين بسفينة حربية ضخمة لممارسة نشاطه البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].

المطلب الثاني: نتائج الصراع العثماني الصليبي

بالنسبة للدولة العثمانية:

– أصبحت مركزا عسكريا أو قاعدة بالأحرى تابعة للدولة العثمانية لشن الهجومات على مالطا بحكم القرب منها وقرب المسافة، لأنه لا يمكن السيطرة على مالطا الا بالاحتلال لليبيا باعتبار ان الموقع الاستراتيجي مالطا يجعلها تتحكم في الحوض المتوسط بكل سهولة[2].

– إتمام الهلال العثماني بداية من الجزائر تونس مصر سوريا ليبيا وجنوب أوروبا.

– أصبحت إيالة عثمانية تستمد التعليمات الادارية من الجزائر[3].

بالنسبة لطرابلس الغرب:

– بعد أن تم إخراج فرسان القديس يوحنا فان طرابلس اصبحت رسميا ولاية تابعة للدولة العثمانية فلقد تم اعطاءها اسم جديد (طرابلس الغرب) عوض طرابلس وتعود أصل التسمية الى العثمانيين التي أوردوها من اجل التفريق بين طرابلس في لبنان وطرابلس في شمال افريقيا.

– تحديد معلم خريطة ليبيا السياسية التي لم تكن موجودة سابقا.

– عودة الاستقرار السياسي وكذا الاقتصادي لأهالي طرابلس الغرب لفترة[4].

المبحث الثالث: الحملات العثمانية على طرابلس الغرب

[1] العبيدي، المرجع السابق، ص82.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق، ص14.

[3] نفسه، ص114.

[4] عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص31.

المطلب الأول: حملة مراد آغا

يقول ابن غلبون أن اسباب هذه الحملة هي ان الطرابلسيين الذين كانوا متواجدين بتاجوراء قد وصلوا الى أسوء حال نتيجة لبطش النصارى لهم بطرابلس الغرب وكان (مراد آغا) قد طلب الاغاثة من الاستانة عدة مرات وفي تلك اللحظات شاهد أهالي تاجوراء الأسطول العثماني الذي كان يقوده

(درغوث باشا) متجها لأهالي تونس وكان السلطان يرغب في استعادتها من ايدي النصارى فركب حينها مراد آغا مع بعض الأعيان في قوارب وصعدوا الى السفن العثمانية واطلعوا "درغوث" على الموقف الحاصل في طرابلس وطلبوا منه المساعدة من الاحتلال الأجنبي[1].

وأخذ مراد آغا في التقدم الى طرابلس الغرب ممثلا للسلطان وقائد القوات الانكشارية المكلفة بمهمة طرد المسيحيين منها، فمراد آغا يمثل الثقل العثماني الديني والعسكري والسياسي، وتأكد حينها للسكان ان العثمانيين بصورة دائمة .

اتخذ مراد آغا تاجوراء مقرا لإمارته، وباشر العمل على تحصينها ثم قام بأعداد القوة من الأهالي اضافة الى جنوده، وبدأ يشن هجومات متفرقة ضد الفرسان[2].

وعمل مراد آغا على توسيع امارته ففي سنة1543م، ضم مدينة (مسلاته) وفي سنة 1544م ضم (غريان وبني الوليد) وكان في الوقت نفسه يطلع الباب العالي عن اوضاعه ويحثه على ضرورة الاسراع بإرسال الأسطول، لأن الفرسان يسرفون في القتل والتشريد والمساعدات الاسبانية مستمرة اليهم[3].
وكان الريس درغوث[4]،أنظر الملحق رقم 09 ص(80)

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137.

[2] أتوري روسي، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، المصدر السابق، ص156.

[3] حسن صافي، المصدر السابق، ص156.

[4] ينحدر درغوث من أصل أناضولي ولعل هذا يفسر شجاعته ألا متناهية وصلابته في القتال، ويعتبر من الأبطال الممزوجين ببعض من الخيال ومنزلته كبيرة عند العامة فيزورونه لتبرك به كما يقدمون له النذر، كا هذا قد خلد اسمه في التاريخ، أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص138.

يحب ليبيا ويتطلع الى ادارتها، لهذا أكد السلطان صحة المعلومات المقدمة له من قبل مراد آغا وان التأخر في ارسال الدعم هو ضرر كبير للأهالي والسلطان في آن واحد، ولم يقتنع في ليبية عما يفعله المسيحيون بحق مسلمي المغرب العربي عامة وما يفعله الفرسان في طرابلس خاصة، وأن المسلمون ينتظرون من الدولة العثمانية انقاذهم من الظلم والطغيان ولم يكتفي درغوث بحث السلطان دينيا، بل شرح له اهمية مناطق الشمال الافريقي وما تمتع به مميزات اقتصادية وعسكرية وان امتلاكه لها يمكنه من عدوته اسبانيا ويحقق له امبراطورية واسعة[1].

المطلب الثاني: حملة سنان باشا

بعد الشرح الذي قدمه درغوث ريس للأحداث بشمال إفريقيا عامة وطرابلس الغرب خاصة، أمر السلطان سليمان القانوني (القبطان سنان باشا)[2].

بحملة بحرية وتجهيز الاسطول البحري والتوجه الى طرابلس الغرب بطرد الفرسان منها وتحرير كل من وهران[3].

وبجاية وتونس من المسيحيين وضمها الى ممالكه، وعلى الفور جهز سنان أسطولا ضخما مكونا من 112 سفينة و52 مركبا، ما بين صغيرة وكبيرة واصطحب معه على متن الأسطول 8000 انكشاري و4000 محارب وصانع و600 فارس بخيولهم مع كميات كبيرة من المؤن والمعدات اللازمة كما اعطى الى الريس درغوث بعض السفن، وما أن علم الفرسان بقرار السلطان العثماني، أصابهم الذعر والارباك ن فطلبوا من الملك في صقلية امدادهم بالجنود والعتاد وقد توجه القبطان سنان باشا

[1] عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م، ص25.

[2] سنان باشا (1506-1596) رجل دولة وقائد عسكري عثماني من اصل ألباني، سمي حاكم على مصر سنة1569م قاد سنة 1574م الحملة العثمانية على تونس التي شكلت نهاية الاحتلال الاسباني للبلاد وبداية الحقبة العثمانية بها، كما كان قائد حملة عسكرية كبيرة الى اليمن لإخماد تمرد الامام الزيدي بن يحي شرف الدين عام 1571م، انظر: عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص27.

[3] نفس المرجع، ص28.

في بادئ الأمر الى مالطة قصد احتلالها وتخريبها، لكنه عندما بلغها ذهل من قوة حصونها وضخامتها، فقرر عدم محاصرتها بحجة أن مهمته تحرير طرابلس الغرب من قبضة الفرسان[1].

وقد ألح عليه درغوث الريس بإقناعه وتسهيل الأمر عليه في المحاصرة، لكنه أدرك ان احتلالها يستغرق وقتا طويلا، خاصة أنه علم ان قائد الأسطول الاسباني(أندريا دوريا) في طريقه الى طرابلس الغرب لمساعدة الفرسان فأسرع سنان باشا بأسطوله الى طرابلس، وانزل قواته اولا في تاجوراء ومن هناك وجه رسالته الى حاكم طرابلس وقائد الفرسان (جاس باري دي فالبير) طالبا منه الاستسلام ومنحه الأمان اذا استجاب لطلبه، لكن الحاكم رفض طلب سنان بشدة وأعلمه أنه مصمم على الدفاع عن مقره، فقرر سنان باشا أن يحاصر طرابلس واشرف بنفسه على محاصرتها، وحينما كان سنان باشا يحاصر طرابلس جاءه السفير الفرنسي دار مونت طالبا منه رفع الحصار والاقلاع عما عزم عليه، فأجابه أن الأوامر معطاة اليه تقتضي بطرد الفرسان[2]. فحاول السفير الفرنسي التوجه الى اسطنبول للحصول على العفو لفرسان القديس يوحنا، لن سنان باشا منعه من مغادرة المدينة قبل الانتهاء من العمليات الحربية[3].

لم يستطع الفرسان الصمود امام القوات العثمانية لشدة الحصار، ففي التاسع من شهر اغسطس سنة1551م، بدأت بعض القوات التابعة للفرسان الانسحاب من القلعة بسبب قلة الماء، في حين كان الأتراك يوجهون مدافعهم باتجاه القلعة حتى بلغوا الثلاثين خطوة منهم، وفي الثالث عشر من اغسطس اقتحم اربعة آلاف تركي الحصن، لكنهم رجعوا على اعقابهم غير ان هذا الهجوم والاقتحام أرعب جنود الفرسان وغدو يبحثون عن وسيلة تمكنهم من الهرب من صقلية وحين علم بهم المارشال

[1] حسن صافي، المرجع السابق، ص40.

[2] عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص29.

[3] شارل فيرو، الحوليات الليبية، ج1، ص105.

دي فالبير حاول اقناعهم بالعدول لانهم بهروبهم وترك القتال هو عمل منافي للشرف العسكري ووجد حينها دي فالبير نفسه وحيدا بعد تخلي الجنود عنه[1].

فاضطر الى رفع الراية البيضاء فوق السور معلنا استسلامه، وفي تلك الأثناء قدم رسولان من جزيرة (ميورقة) فعرضا على القبطان سنان باشا تخلي قوات الفرسان عن المدينة شريطة المحافظة على افراد الحامية، وان يتعهد بنقلهم سالمين الى مالطة أو صقلية، فقبل سنان باشا الشروط المعروضة عليه بناءا على نصائح درغوث، وخرج دي فالبير من ملجأه متجها الى مقام سنان باشا، فيحينها كان الفرنسي دي روش قد امر ببناء برج منجنيق القائم عند المدخل بالميناء مستمرا بالمقاومة مع ثلاثين جنديا من جنوده، فأمر سنان باشا بقصف البرج بالمدفعية الثقيلة، فاضطر دي روش وجنوده للاستسلام، وأصبح جميع أفراد الحامية أسرى بأيدي الأتراك وفي السادس عشر من أغسطس من سنة1551م، صارت طرابلس ولاية عثمانية بالفعل، وتحت سيطرتهم[2].

تجمع الأسطول التركي في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وكان مجموع سفنه مائة وخمسون سفينة، وركب فيه 17 ألف جندي وستمائة فارس، وكان سنان باشا القائد الأعلى لهذا الأسطول، وظهر هذا الأسطول الضخم أمام مالطا يوم 14 رجب سنة 958هـ 18جويلة 1551م، وكان الطرغود في هذه الحملة، وجوفا من أن يقتضي إحتلال مالطا كلها زمنا طويلا نظرا لمناعتها الطبيعية قد تفوت معه الفائدة من التعجيل بإحتلال الشمال الإفريقي فقد إكتفى سنان باشا بحتلال قوزو إحدى جزر مالطا في 26رجب من نفس السنة، وأسر منها نحو سبعة آلاف شخص، وأقلع عنها الأسطول قاصدا إلى طرابلس.[3]

ورسا الأسطول أمام طرابلس ونزل سنان باشا على تاجوراء حيث يقيم مراد آغا، وأرسل سنان باشا رسولا عربيا يحمل علما أبيض معه رسالة إلى الفرسان يطلب منهم أن يسلموا المدينة، ويعظهم بأن

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص115.

[2] محمود ناجي، المرجع السابق، ص149.

[3] الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص302.

يبقى على حياتهم وأموالهم، وأخذ سنان باشا في إنزال الجيوش والمدافع إلى البر ورتب الجيش في مضاربه وأحاط بالمدينة من كل ناحية، وحفرت الخنادق ونصبت المدافع البرية قرب سيدي الشاعب وإتخذ الأسطول مواضعه من البحر وتمت جميع الإستعدادات ولم يصدر الأمر بالهجوم إنتظارا لرد الفرسان .[1]

وفي أثناء ما كان سنان يقوم بترتيب الجيش جاء السفير الفرنسي دارمون، ورست سفينته على ساحل تاجوراء و طلب مقابلة سنان وأجيب لذلك، وفي أثناء محادثته رجاه أن يعدل عن إحتلال طرابلس وأن يتركها للفرسان وتوسل لديه في قضاء مهمته فيما بين فرنسا والسلطان سليمان من صداقة وبما يتمتع به الفرسان من رعاية دول أوربا لهم، ولم يجد سنان باشا في هذه الوساطة مايبررها، وإعتذر لسفير أنه مأمور من قبل السلطان بإحتلال طرابلس وطرد الفرسان منها وهذا التصريح من سنان باشا بأنه مأمور من قبل السلطان وهو ماجاء في تاريخ إبن غلبون وتاريخ النائب بك، أن مراد آغا طلب من سنان مساعدته في بالأسطول على فك المدينة، فإعتذر سنان بعدم الإذن له في ذالك، وبعد توسلات مراد آغا وتحمله كل مسؤولية تنتج عن ذالك، أجاب سنان باشا طلبه وصدرت أوامر سنان بعدم مغادرة سفير فرنسا تاجوراء خوفا من إتصاله بالأستانة، أو بفرسان القديس في طرابلس لعرقلة أعماله، ورد الفرسان على الباشا بعدم التسليم وبالإصرار على المقاومة إلى النهاية.[2]

المطلب الثالث: الهجوم على مدينة طرابلس

في يوم 6 شعبان سنة 958هـ، 9 أغسطس سنة 1551م، صدرت الأوامر إلى الجيش التركي بالهجوم وأطلقت المدافع على الأسوار والأبراج وعلى قصر الحكومة وأحرزت المدفعية نجاحا فتقدمت، ونصبت على مسافة 150متر من قصر الحكومة، وكان ضرب المدافع قويا ومحكما وكان الجنود يصوبون بنادقهم إلى المرابطين في رؤوس الأسوار وغيرهم .[3]

[1] الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص303.

[2] أحمد النائب الانصاري، المرجع السابق، ص 294.

[3] الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص305.

وعمت الفوضى جنود الفرسان وألحوا على ضباطهم في طلب الصلح، وطلب بعضهم السفر إلى مالطا وإعتقد حاكم المدينة فاليرا أن سقوط المدينة في يدي الأتراك أمرا لا مفرا منه فأرسل إلى سنان باشا يطلب منه المفاوضة في الصلح على شرط أن يترك الفرسان يخرجون إلى مالطا بسلاحهم وأمتعتهم، ورفض سنان باشا هذا الشرط إلا اذا دفعوا ثمن كل ما أنفقه على هذه الحملة غرامة حربية، فرفضوا شرطه لأنه لايوجد عندهم شيء من المال، وتجددت الحرب وتجددت معها ثورة الجنود في داخل المدينة وسخطهم على الوالي ومطالبتهم بتسليم المدينة، وطلب سنان باشا فاليرا حاكم المدينة للتحدث إليه مشافهة في شأن الصلح، فخرج إليه الباشا ومعه أحد مساعديه وعرض عليه سنان، إما أن يدفع الخسارة الحربية أو يأسر جميع الفرسان، ويبيعهم في الأسواق لرد نفقات الحرب، وإستاء فاليرا من قوله: (يبيعهم في الأسواق)، فخرج عن صوابه وأغلظ في القول، فأمر سنان باشا بحجزه وأرجع مساعده إلى المدينة لينذر من فيها بالفناء، إذا ما توانوا في فتح الأبواب وتسليم المدينة، وإنقض هذا الخبر على رؤوس المحاربين الفرسان كالصاعقة، وأخذ الخوف من نفوسهم كل مأخذ، وكانت المدافع بحممها على القلاع والأسوار في عنف لا هوادة معه حتى تهدم أكثرها، وأرسل سنان مناديا ينادي حول الأسوار بالأمان لكل من ألقى سلاحه وإستسلم، فاغتنم جنود الفرسان المذعورون هذه الفرصة فألقوا بسلاحهم وهرعوا إلى الأبواب ففتحوها بدون أن ينتظروا أمرا أو يستشيروا أحدا، ودخلها سنان الفاتح وجيشه المظفر، وفي المقدمة مراد آغا و درغوث بك، ووفى لهم سنان بما وعد، ورفع عنهم القتل، ووهب لهم أرواحهم وأموالهم.[1]

المطلب الرابع: الإحتفال بفتح طرابلس

[1] نفسه، ص306.

في يوم 13 شعبان سنة 958هـ، 16 أغسطس 1551م، إحتفل العثمانيون والطرابلسيون بفتح طرابلس إحتفالا رائعا حضره السيد دارمون سفير فرنسا الذي حجزه الباشا في تاجوراء ورئيس الفرسان فاليرا الذي كان حاكما على طرابلس، وكان يوم (6.7.8. من شعبان و 9.10.11.من أغسطس) أشد أيام الحرب في تلك السنة، وتكرم سنان باشا على الفرسان فأذن لهم بالسفر إلى مالطا فسافروا يوم 15 شعبان سنة 958هـ، 18 أغسطس سنة 1551م، على سفن تحمل الراية الفرنسية، ولم تستغرق العمليات الحربية منذ أن شرع في الهجوم إلى أن سافر الفرسان إلى مالطا، أكثر من عشرة أيام .[1]

ولم يترك الفرسان في طرابلس ما يذكرون به سوى الخراب، تلك الفضائع والمجازر وسافروا من البلاد مشيعين باللعنات بعد أن قضوا فيها 18 سنة، وما كان الفرسان يستحقون هذا العطف من سنان لو كانت المعاملة بالمثل، فقد كانوا في معاملتهم للطرابلسيين قساة القلوب، متحجري العواطف حملهم التعصب للمسيحية على إرتكاب كل نقيصة مع العرب والمسلمين، وكان وجودهم في طرابلس حلقة من سلسلة فضائع الإسبان في الأندلس، ولكن بشاشة الإسلام ملأت قلب سنان باشا رحمة وإنسانية، فعفى بعد قدرة، وسامح بعد إستحقاق العقوبة، وهكذا نحن المسلمين دائما ولن نعدل عن هذه الفضيلة الإنسانية.[2]

المطلب الخامس: مراد آغا واليا على طرابلس الغرب

وبعد هذا الإحتفال عين سنان باشا مراد آغا واليا على طرابلس مدى الحياة، وبعد أن إستقر الأمن في البلاد سافر سنان باشا بأسطوله إلى الغرب، وأبقى مع مراد آغا حامية صغيرة من الجند، وكانت طرابلس قد عمها الخراب من جراء الحرب وإهمال الفرسان لشأنها، فشغل بتعميرها وجلب لها كثيرا من السكان من تاجوراء ومن المهاجرين الذين هاجروا أيام الإسبان لأن الحروب أتت على كثير من سكانها وشجع الناس على الزراعة والصناعة وإنشاء البساتين وإستثمار الأرض، وقد إستردت البلاد

[1] عمر الباروني، المرجع السابق، ص101.

[2] نفسه، ص103.

في أيامه كثيرا مما فقدته أيام الإسبان و فرسان القديس، وأخذت الحياة تدب في جميع مرافقها، وقد أمكنه أن يخضع البلاد للنفوذ التركي وبقيت زوارة تحاول التخلص من نفوذه، فلم يتركها تسترسل في ذلك وإضطرته ظروف عنادهم إلى أن يغزوهم بجيش فيه نحو 3600 جندي، وكان هذا الجيش يحاصر زوارة سنة 959هـ، في أغسطس سنة 1552م، وقد إتفق أن الفرسان جهزوا أسطولا فيه 16 سفينة عليها ألف جندي، لغزو زوارة لأنها بعيدة عن المدينة، وظنو أن نفوذ مراد آغا لم يصلها، وذهب هذا الجيش إلى زوارة، ووصلها يوم 5 شعبان من السنة المذكورة .[1]

وكان جيش مراد آغا موجودا في زوارة يحاصرها، وزحف جيش الفرسان إليها وعاث فيها قتلا وسبيا، ولم يكن يشعر بوجود جيش مراد آغا، وأخذ جيش الفرسان في الرجوع إلى الأسطول، فلم يشعر إلا وإنقض عليه جيش مراد آغا من كل صوب، وضاق على جيش الفرسان الفرار فتشتتوا، فتركوا كل ماغنموه من أموال، وما إستولوا عليه من أسرى، واضطر الفرسان إلى أن يلقوا بأنفسهم في البحر ومات كثيرا منهم غرقا قبل وصولهم إلى السفن، وأقلع الأسطول يجر أذيال الخيبة وكانت هزيمة منكرة له وللجيش، ولم يحدث في أيام مراد آغا غير هذا الحادث الذي اعتبره الفرسان أقصى عليهم من حادثة جزيرة رودس.[2]

بعد أن تم إخراج فرسان القديس يوحنا من طرابلس فإن طرابلس أصبحت رسميا ولاية تابعة للدولة العثمانية فلقد تم إعطاء اسم جديد لها (طرابلس الغرب) عوض طرابلس وتعود أصل التسمية إلى العثمانيين التي أوردوها من أجل التفريق بين طرابلس في لبنان وطرابلس في شمال افريقيا.

[1] الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص291.

[2] نفسه، ص293.

بعد دراستي لأوضاع طرابلس الغرب قبيل تواجد الفرسان بها، وأثناء حكمهم وبعد سقوطهم خلصت إلى العديد من الإستنتاجات منها:

أن طرابلس الغرب تمتعت بإزدهار تجاري واسع، ولكنها كانت غير محصنة بسبب تردي أوضاع الحفصيين وبعدها عن مركز الدولة، على الرغم من أنها حظيت بإستقلال داخلي عام 1460م، فإن التحصينات العسكرية بقيت على ما هي عليه وهذا ما أتاح للإسبان إحتلالها في 1510م، بعد معركة إستمرت سبع ساعات فقط، على الرغم من المقاومة القوية التي أبداها السكان، لكنهم هزموا بسبب رداءة التحصينات وعدم وجود جيش نظامي يدافع عنها، ناهيك عن تفوق الغزاة بإستخدام الأسلحة النارية الثقيلة والتي أثبتت فعاليتها إتجاه المواقع الثابتة.

كما أن الإسبان إتخذوا من طرابلس الغرب قاعدة للتوغل في الأراضي التونسية بهدف إحكام السيطرة على مضيق صقلية وبالتالي التحكم في طرق الملاحة عبر البحر الأبيض المتوسط، لكنهم أخفقوا بسبب عدم إحتلال جزيرة جربة وكذلك إنشغالهم بالحرب مع فرنسا.

أدى هذا الإخفاق إلى إهمال فيرديناد شأن الشمال الإفريقي، وقد حاول خلفه شارل الخامس التحالف مع القوى المحلية لحماية المواقع الإسبانية.

لقد تبنى السلاطين العثمانيين إجمالا موقفا سلبيا من الشمال الإفريقي، فلم يرغبوا بالتدخل أكثر مباشرة في شؤونه بسبب تركيزهم على جبهات أخرى أكثر أهمية لديهم، وقد أدى إستنجاد الأهالي إلى تدخل محدود في بادئ الأمر من العثمانيين فكان هناك عبئا على الإسبان في طرابلس الغرب، حيث أنهم أخفقوا في إحياء المدينة عبر إعادة التوطين والبناء بسبب الحصار وعمليات المقاومة المستمرة من السكان، لذا قرر شارل الخامس التخلص من طرابلس الغرب بإقطاعها لفرسان القديس يوحنا ولكنهم لم ينجحوا فيها لعدة أسباب منها:

- الوضع الدولي الذي ساد منطقة الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن السادس عشر كان سببا في حدوث إحتكاك عنيف بين السكان المحليين والإسبان تارة وبينهم وبين الفرسان لخلافة الإسبان في طرابلس الغرب وهو ما أدى إلى تعصب ديني وقيام صراع بين الديانات.

- كان لابد من رد فعل ضد المشروع الإستعماري الثنائي الذي مثله تواليا (الإسبان وفرسان القديس يوحنا)، وهو المبادرة التي كانت من سكان طرابلس الغرب وإستنجادهم بالعثمانيين.

الملحق رقم 01 : خريطة تبين اقاليم ليبيا

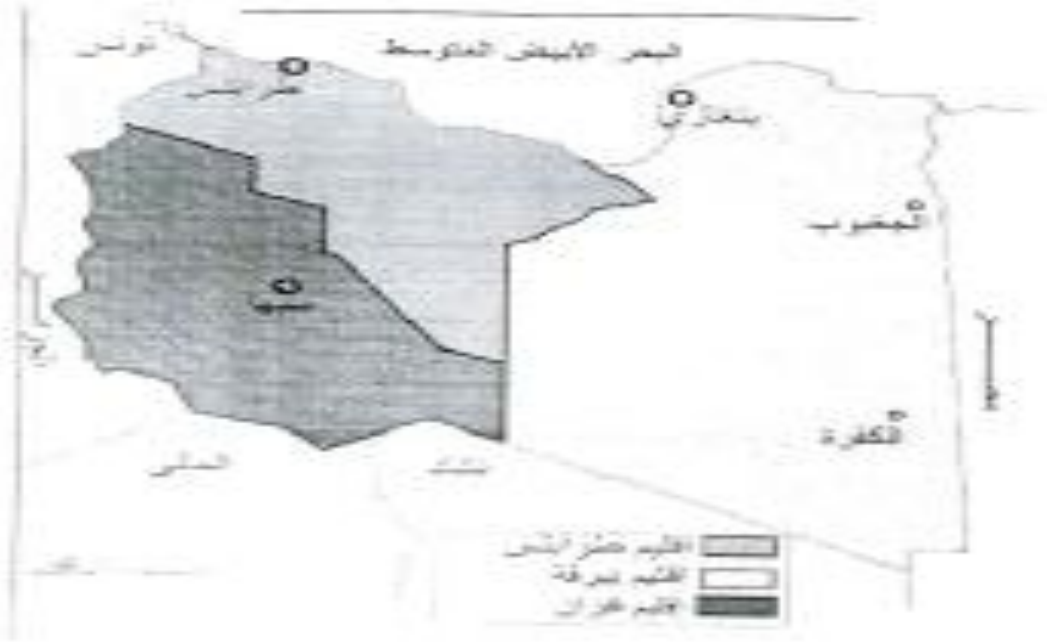

جودة حسنين جودة : المرجع السابق ، ص 726

الملحق رقم 02 : صورة متخيلة شارل الخامس

اتوري روسي: المرجع السابق، ص143

الملحق رقم 03 : صورة متخيلة غزو اسبانيا لطرابلس

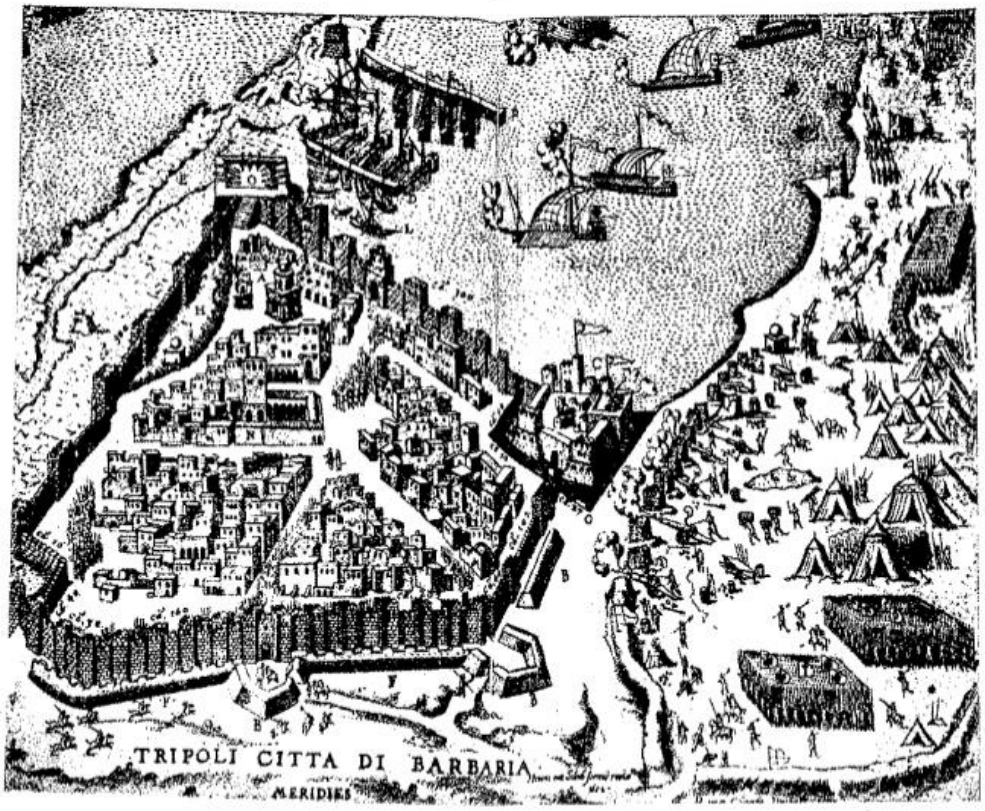

طرابلس سنة ١٥٥٠ م (نسخة محفوظة في مخزن اوراق فلورنسا)

عمر الباروني : المرجع السابق ، ص 63.

الملحق رقم 04 : صورة متخيلة فرسان القديس يوحنا

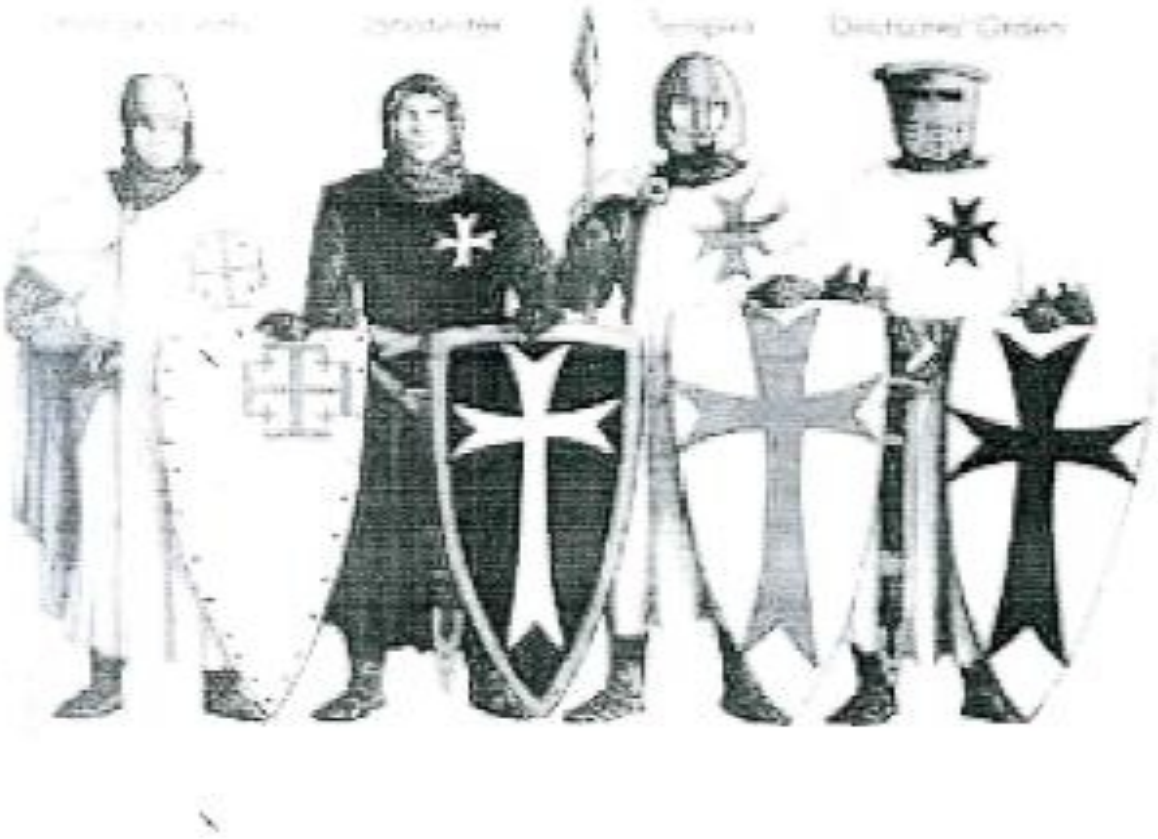

محمد خير فارس : المرجع السابق، ص 58.

الملحق رقم 05 : خريطة تبين حدود استعمار الدولة الحفصية لطرابلس

عمر الباروني : المرجع السابق، ص 91.

الملحق رقم 06 : صورة متخيلة مسجد تاجوراء

الطاهر أحمد الزاوي : المصدر السابق، ص 260.

الملحق رقم 07 : صورة متخيلة السلطان سليمان القانوني

احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 28.

الملحق رقم 08 : صورة متخيلة مراد آغا

ابن غلبون : المصدر السابق، ص137.

الملحق رقم 09 : صورة متخيلة درغوث ريس

ابن غلبون، المصدر السابق، ص137.

قائمة المصادر:

1. ابن غلبون ابو عبدالله محمد، التذكار، تح: طاهر زاوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1939م.

2. اتوري روسي، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، تر: محمد التليسي، ط1، مؤسسة الثقافة الليبية للترجمة والنشر، طرابلس، 1969م.

3.اتوري روسي، ليبية منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر: خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1978م.

4.أحمد النائب الانصاري، المنهل العذب في طرابلس الغرب، بيروت، 1950م.

5.أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تونس، 1963م.

6. الانصاري أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب ليبيا، بدون تاريخ.

7. محمد ابو راس الجربي: مؤنس الاحبة في اخبار جربة، تح، محمد المرزوقي، وتقديم حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، ط1، تونس، 1960م.

قائمة المراجع:

1. أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492م-1792م، الجزائر.

2. أحمد إسماعيل راشد، تاريخ افطار المغرب السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2004.

3. إسماعيل العربي، حاضر الدول الاسلامية في القارة الافريقية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994م

4. جمال مشري، جغرافية الجزائر والمغرب العربي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1987م.

5. جودة حسنين جودة، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م.

6. حسن صافي، طرابلس الغرب تاريخي، استنبول، 1328هـ

7. راسم رشدي، طرابلس الغرب، طرابلس، 1953م،

8. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ج1، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، طرابلس، 1994م.

9. عبد السلام جمعة، مسار المصالحة الوطنية والسلم الاجتماعي ليبيا، دار زهران للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2013م،

10. عبد اللطيف محمود البرغوتي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور من الفتح الاسلامي الجزء الأول، تامنغست، ب س،

11. علي مصطفى المسراتي، صحافة ليبيا في منتصف قرن، بيروت، 1960م،

12. عمر الباروني، الاحتلال الاسباني وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، مطبعة ماجي، طرابلس، 4، 1952م.

13. عمر محمد الباروني: الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، ط4، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م.

14. قاسي الصديق وآخرون الجغرافيا الاقتصادية للعالم المعاصر، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1996م.

15. محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تر: سعد بوخلافة، منشورات بونة البحوث والدراسات، بونةّ، الجزائر2007.

16. محمد الهادي العروق: اطلس الجزائري والعالم، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2000.

17. محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرن الأول الى العصر الحاضر، تقديم: فاضل المسعودي، الطبعة الأولى، طرابلس الغرب، المطبعة العسكرية،1948م.

18. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، القاهرة، 1957م

19. محمود ناجي، طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أدهم ومحمود الأسطي، بنغازي 1970م.

20. مصطفى بعبو، المجمل في تاريخ ليبيا، القاهرة، 1947م

21. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1966م.

22. الهادي قطش، أطلس الجزائر طبيعيا بشريا اقتصاديا سياسيا، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009م.

الموسوعات:

امنة ابو حجر، الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم.

المجلات:

مصطفى حبشي محمد زهران، مجلة المؤرخ العربين، ط15، القاهرة، 2007م.

المذكرات:

العبيدي سمير عبد الرسول عبد الله، طرابلس الغرب أثناء الاحتلال الاسباني وفرسان يوحنا، جامعة بغداد، 2003م.

اهداء :

شكر وعرفان :

مقدمة :..... أ–د

الفصل الاول : طرابلس الغرب قبيل حكم الفرسان..... 6

تمهيد : 6

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن ليبيا..... 7

المطلب الأول: أصل التسمية والموقع والمساحة..... 7

المطلب الثاني: التضاريس والمناخ..... 9

المطلب الثالث: السكان..... 12

المطلب الرابع: الديانة واللغة..... 14

المبحث الثاني: أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان..... 15

المطلب الأول: الأوضاع الخارجية..... 16

المطلب الثاني: الأوضاع الداخلية..... 18

المبحث الثالث: ردود الفعل اتجاه الحملة الاسبانية على طرابلس الغرب... 21

المطلب الأول: الموقف الإسلامي..... 21

المطلب الثاني: الموقف الأوربي..... 23

الفصل الثاني : الحاق طرابلس الغرب بحكم الفرسان..... 25

تمهيد : 25

المبحث الأول: التعريف بفرسان القديس يوحنا..... 26

المبحث الثاني: أسباب تنازل الاسبان عن طرابلس الغرب وأهدافه 27

المطلب الأول: أسباب التنازل..... 27

المطلب الثاني: أهدافه..... 31

المبحث الثالث: تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس الغرب وردود الأفعال..... 32

المطلب الأول: تحالف الفرسان مع الحفصيين ضد طرابلس..... 32

المطلب الثاني: ردود الفعل حول التحالف..... 37

المبحث الرابع: حكم الفرسان وإدارتهم في طرابلس الغرب..... 39

المطلب الأول: حكم الفرسان في طرابلس 39

المطلب الثاني: إدارة الفرسان لطرابلس الغرب..... 40

الفصل الثالث : سقوط حكم الفرسان في طرابلس الغرب..... 47

تمهيد : 47

المبحث الأول: إستنجاد الأهالي بالباب العالي(الدولة العثمانية)..... 48

المطلب الأول: الوفد الليبي العربي..... 48
المطلب الثاني: الرد العثماني اتجاه الاستنجاد الليبي..... 49
المبحث الثاني: الصراع العثماني الصليبي ونتائجه..... 49
المطلب الأول: الصراع العثماني الصليبي..... 49
المطلب الثاني: نتائج الصراع العثماني الصليبي..... 59
المبحث الثالث: الحملات العثمانية على طرابلس الغرب 60
المطلب الأول: حملة مراد آغا..... 60
المطلب الثاني: حملة سنان باشا..... 61
المطلب الثالث: الهجوم على مدينة طرابلس..... 64
المطلب الرابع: الإحتفال بفتح طرابلس..... 66
المطلب الخامس: مراد آغا واليا على طرابلس الغرب..... 66
الخاتمة 69
الملاحق 72
البيبليوغرافيا 82
الفهرس 86